

كتب قومية

# الجزائر المنصورة

بقلم  
محمد عبد النعم مرصفي



إهداء

الى من يكتبون بدمائهم أروع ملحمة من ملاحم  
النضال الشعبى الحديث

الى رواد الحرية فى كل زمان ومكان  
الى الشعب الجزائرى البطل



## تمهيد

ان النظام الاستعماري الكريه والامبريالية الغربية البغيضة ، ان هي الا انظمة نمت وازدهرت واقتسرن تطورها بتطور المجتمعات الرأسمالية وما يرتبط بهذه المجتمعات من تفكير فردى صارخ ومن نزعة شخصية مطبوعة على الاثرة وحبال الذات ، ومن مادية سافرة دنست بها الرأسمالية الحياة الاجتماعية بأسرها ، وكانت من نتائج ذلك المنطقية التي تنكرت الرأسمالية الغربية للقيم الانسانية ، وكان ان كفرت بكل معاني المساواة والحرية ، ومن هنا يجب ان تؤكد ان الاتجاه العام للسياسة الخارجية للغرب الاستعماري كانت تنبع دائما - وما زالت - من طبيعة المجتمعات الرأسمالية التي يعيش فيها الغرب ، تلك المجتمعات التي تتميز بوجود اضطهاد للمجتمعات الاخرى . واستغلال الانسان للانسان ، تلك الاشياء التي تمثل احد الدوافع الهامة للغزوات والحروب الموجودة في ظل الرأسمالية ، ومن خصائص مجتمعات الغرب كذلك قوضى الانتاج والازمات الاقتصادية المتلاحقة ، وما يؤدي اليه ذلك من بروز اسباب هامة للغزوات وايضا ما هو معروف من وجود طبقات مستغلة تعيش على الربح وامكانها ان تجنى الارباح العظيمة من الطلبات العسكرية ومن سباق التسليح ، وهذا يكفل خلق دافع آخر للحرب والاستعمار .

ومن هذا ننتبث من ان الظروف التاريخية التي مر بها الغرب ، ومن ان الخصائص الطبيعية التي تميزت بها مجتمعاته كانت من الحوافز والدوافع الهامة التي دفعته الى الاستعمار والى السيطرة ، وكان ان أصبح الاستعمار من اوضح المظاهر السياسية في عصرنا هذا .

واتجه الاستعمار في العصر الحديث الى بلدان العالم العربي وتناولت شهوته الجائعة الاقطار العربية الواحد تلو الآخر ، وما اولانا نحن الشباب العربي من ان نتناول ظاهرة الاستعمار التي قاست وتقاسى بلادنا منه الكثير بالدراسة والبحث .

ونحن ان فعلنا ذلك فلسوف نفاجا بحقيقته بشعة وبواقع ملموس وهو ان اول استعمار شهدته عالمنا العربي في العصر الحديث هو الاستعمار الفرنسي الفادر لقطر من اعز اقطارنا العربية « الجزائر العظيمة » ما زال حتى الآن قائما في أرضنا العربية الطاهرة ، وبكل ما انطوى عليه من استغلال واستبداد وتخريب .

والاستعمار الفرنسي ليس سوى صورة قدرة من صور الاستعمار العالمى الذى عرفناه نحن العرب منذ العصور الوسطى وواخر القرن التاسع عشر واولئل القرن العشرين ، فالذى يكبت الشهور الوطنى والحق الطبيعى في افريقيا العربية ، والذى يخنق صيحات ابناء عمان وحضرموت وسائر اقطار الخليج ، والذى سيطر على الاحرار وعاق تقدمهم وزحفهم في موكب القومية والحرية في الاردن ، والذى يساعد اسرائيل ويناصر حفنة من الصهاينة على مليون عربى مشرد « لاجئى فلسطين » ، والذى يخرج علينا بمشروعات الفراغ ويدبر المؤامرات ويسدد السهام لئلا من حرية بلادنا ووحدتها هو استعمار واحد يعرفه العرب جيدا مهما نفرت الاسماء والالوان أو اختلفت الشارات والرسوم . ومهما انتحل من صفات الديمقراطية والحرية . فهى اطماع استعمارية واحدة . ذات هدف واحد . هو السيطرة ومحس الدماء . ولكن برغم هذه المحاولات الانتحارية التى يقوم بها الاستعمار يوما بعد يوم بغية اطالة امده وابقاء عهده ، فانها سوف تنتهى دائما بالفشل والخيبة ، فلو كان سياسة الغرب الاستعمارى الطامع على قدر من التعقل وعلى جانب من التبصر لرفعوا ايديهم عن اقطارنا العربية . ولعرفوا ان الحق اقوى من الظلم . وان النور ابقى من الظلام ، وأن الحرية اعظم من ان تموت أو تخنق .

ولقد اصرت فرنسا على استعمارها الفادر لارض العروبة في الجزائر زهاء ١٣٠ عاما سادرة في اطماعها مستمرة في غيها . تأبى على شعب الجزائر حقه الطبيعى في الحرية والاستقلال .

ومن هنا تمثل قضية الجزائر اعظم مأساة استعمارية واجها ويواجهها شعب في القرن العشرين ، وهذه القضية الجديرة بالبحث والتحليل بحثا علميا يكشف لنا عن خصائصها المختلفة هى موضوع دراسة هذا الكتاب .

## الاستعمار والعقيلة الاستعمارية

ما الاستعمار ؟

الاستعمار مفهوم قديم وللفظ مرادف للفظ الاستعباد السياسي « والاستعمار » يمكن تعريفه على انه نظام جامع لاستثمار جماهير من الناس . نشأ في العنف ولا يثبت نفسه الا في العنف ، والاستعمار ليست له كذلك صورة واحدة في جميع الظروف والاحوال ، فالاستعمار اليوم يتخذ صورا شتى وله من الرسوم والشارات ماهو متنوع ومتعدد من صفات الديمقراطية والحريات ماهو رياء وتزييف . والواقع ان الحركة الاستعمارية الحديثة قد انثرت في النظام السياسي للعالم الذي يعيش فيه ابلغ تأثير . فليس في ميدان السياسة العالمية اليوم حقيقة اظهر وأبرز من ظاهرة الاستعمار والتي بات من نتائجها الواضحة تلك المظالم التي تقبض بها جوانب المجتمع الانساني الكبير .

ففي الساعة الراهنة في أرجاء العالم لا يزال ملايين وملايين من الناس يعيشون حياة ضنك وبؤس ويموتون مسحورين تحت نفل الانظمة التي حكم عليها التاريخ والطبيعة بالموت ومع ذلك فهي مازالت ترفض ان تموت .

وأول مانود تأكيده في هذا المجال ان المشكلة الجزائرية لا تختلف من حيث الجوهر والتنوع عن اية مشكلة من مشكلات التحرر الوطني ضد التسلط الاستعماري . ان القضية الجزائرية كانت دائما مشكلة استعمارية مترابطة الأجزاء متفاعلة الوجود لا يمكن باى حال من الأحوال : فصل جوانبها الاقتصادية والاجتماعية من طبيعتها ومدلولها السياسي الاستعماري . انها مشكلة استعمارية بحتة .

حادثت فرنسا طوال السنوات الماضية ان تغير من هذه الحقيقة وان تنال من تلك البديهة بادعائها الكاذب ان الجزائر فرنسية ويقولها الساذج بالمقاطعات الفرنسية الثلاث وبممارستها

المستمرة للوصول الى حل للمشكلة عن طريق المساومة والحلول  
النصفية والاصلاحات الجزئية ومشروعات الاستقلال المظهرية ،  
مشروعات الاستقلال ضمن التكافل والحكم الذاتي والتقسيم  
والشخصية الجزائرية والمواطنة المشتركة الخ .

ولقد كانت هذه الحلول تتفق في النهاية على ابقاء الوضع  
الاستعماري في اسسه الجوهرية ، فهي حلول زائفة تقوم اساسا  
على تكتيل المصلحة والتضليل عن الهدف الاساسي .

ولكن الحقيقة الثابتة كانت هي ان العدو الاول هو الاستعمار  
والمشكلة الاولى هي الذهنية الاستعمارية ، هذه هي حقيقة الموقف  
في الجزائر وجوهر المشكلة الجزائرية وطابعها الاول .

وقد حاول الاستعماريون واقطاب الامبريالية الفرنسية انكار  
هذه الحقيقة وتزييفها ، فادعوا ان الجزائر جزء من فرنسا وليس  
بلدا اجنبيا جديرا بالحماية وانهم سيقتلعون جذور الازمة من  
اساسها حالما يعود الامن الى نصابه بمواجهة المشكلات الاقتصادية  
والاجتماعية ، ولقد ظلت هذه الذهنية الاستعمارية تسيطر على  
قواد فرنسا منذ ان تم الفتح الفرنسي للجزائر حتى اليوم ، وبعد  
مضى حوالي ١٣٢ عاما ، وحينما صرح الجنرال « جيرود »  
وزير الحربية الفرنسية مسوغا احتلال الجزائر بقوله :

ان الدوافع لهذا الاحتلال مبنية على الدوافع الضرورية  
لحفظ النظام العام في فرنسا وأوروبا وفتح آفاق واسعة نتيجة  
للزيادة المطردة في السكان ، وایجاد سوق لمنتجاتها الصناعية  
لاستبدالها بمنتجات اجنبية اخرى لا تتوافر في بلادنا ، فكانه قد  
اعترف اعترافا صريحا بان فرنسا عام ١٨٣٠ قد شنت حربا  
حقيقية لقمع الجزائر واستعمارها .

ولكن فرنسا تنكر اليوم هذه الحقيقة ، وتطبيقا لهذا المنطق  
الاستعماري نلاحظ ان سياسة فرنسا الرسمية تجاه الجزائر  
وخاصة منذ ان اشتعلت الثورة المسلحة كانت تتردد بين تطبيق  
حلول عسكرية عمادها البطش والارهاب ، وبين حلول اقتصادية  
زائفة لا اثر لها ولا انجاز ولكن الحقيقة ان الجزائر كانت مستعمرة

وان كان هناك ثمة اختلاف بينها وبين غيرها من المستعمرات ، فهذا الاختلاف انما ينحصر في طول الفترة الزمنية التي خضعت فيها الجزائر لاستعمار فرنسا . وكان من طبيعة ذلك الاستعمار الطويل وما يتصل به من عبودية شديدة الوطأة وماتميز به من نهم وحشي واستثمار محموم ، أن اشتعلت الثورة على الجوع من أجل الشبع ، وعلى الظلم من أجل العدالة ، وعلى الاستعمار من أجل الحرية ، فان الشيء الاول الذي كان يميز حقيقة الثورة في الجزائر اليوم هو انطلاق النشاط العاصف لدى الجماهير الشعبية الواسعة ، الواثقة من انتصار نضالها العادل من أجل الحرية .

ومن هنا لم تكن الظواهر الرئيسية للقضية الجزائرية في سنوات الثورة ولا في أى وقت مضى ظواهر اقتصادية واجتماعية يستطيع ديجول الواهم معالجتها بمشروعات قسطنطينية او غيرها . لقد كانت دائما ظواهر سياسية انها (١) نحو حركة قومية وفهور انطلاقة تحررية . انها يقظة الوعى وارادة وطنية للتحرر والاستقلال

والواقع ان انتهاء الوضع القائم والغاء التبعية السياسية والاقتصادية التي تعيش بها الجزائر كان هو وحده الذى يستطيع حل القضية الجزائرية ، اى أن الجلاء الناجز الشامل للقوات الفرنسية عن ارض العروبة في الجزائر كان هو الطريق الوحيد المفتوح امام فرنسا وهو مفتاح المشكلات والازمات التى تعاني فرنسا من مواجهتها الكثير .

والى هنا ننتهى الى ان القضية الجزائرية . ليست سوى قضية سياسية مصدرها الحكم الاستعماري .

انها الحقيقة تتحدث عن نفسها .

---

(١) الاستعمار الفرنسى في المغرب العربى : هنرى كلود وآخرون

## الجزائر في الزمان

ان حقائق التاريخ تؤكد ان الاعترافات التاريخية الجزائرية تغطي القطر الجزائري - شأن الجزائر في ذلك شأن كل اقطار المغرب العربي . شخصية خاصة - من الخطا . بل من السخف انكارها او حتى مجرد المكابرة في حقيقة وجودها . لذلك كان من الضروري لقاء الضوء على بعض جوانب التاريخ الجزائري ليكون النور الذي يكشف الحقائق ويزيل الاستار الكثيفة المتمثلة في الأكاذيب الشائعة التي استخدمتها الاستعمار الفرنسي في طمس الحقيقة ، واغراق الحق وسنكفي بالحديث عن التاريخ الجزائري منذ ان كانت الجزائر تحت اشراف العثمانية .

### الجزائر تحت الرعاية العثمانية (1)

اشتدت اطماع الاسبان في اواخر القرن الخامس عشر واولئل القرن السادس عشر . حين تم لهم استئصال الامارات الاسلامية بالاندلس ، واصبحت لهم دولة واحدة كانت اذ ذلك تعد من اقوى دول اوربا فاستولى الاسبان على مرسى وهران والمرسى الكبير ، وهددوا مدينة الجزائر تهديدا شديدا مباشرا . واستولوا على اكبر الجزيرات الواقعة تجاهها وجعلوا فيها حصنا يضع البلدة تحت رحمته ، ثم اخذوا يوالون غاراتهم البحرية قاصدين مدينة تلمسان ، وفي كلمات قليلة نجد الاسبان استولوا على أكثر ثغور طرابلس وتونس والجزائر . وكانت حملاتهم حملات نهب لصوصية ، ومما زاد الموقف اضطرابا في البحر المتوسط انتشار اعمال القرصنة فقد انشأ الاسبان والبرتغاليون مع غيرهم من رجال اوربا سفنا للقرصنة يعملون على الفتك بمهاجري الاندلس التبعاء ، وكان لبعض كبار القراصنة المسلمين قوة مرهوية استعانت بها دول المغرب ومن ذلك أمير تونس من بنى حفص الذي ادخل في خدمته

---

(1) هذه هي الجزائر . احمد توفيق المدني

قرصانين كبيرين من اسرة بربروس هما (عروج) واخوه (خير الدين)، وكانا من اصل يوناني ثم اعتنقا الاسلام واشتغلا بالقرصنة وذاع لهما صيت كبير ، وأخذوا يعملان متطوعين في سبيل الله لانقاذ مهاجري الاندلس والاجتياز بهم ارض المغرب ، ولما ضاق اهل الجزائر بضغط الاسبان دعوا عروج لانقاذهم ، فدخل الجزائر واعلن نفسه اميرا عليها وصد عنها حملة اسبانية عام ١٥١٦ واستطاع بتأييد الجزائريين الذين التفوا حوله تطهير البلاد من التدخل الاسباني الفظيع ، وقتل عروج في بعض مغامراته فتولى اخوه خير الدين قيادة اتباعه من بعده وأصبح صاحب الحكم في القطر الجزائري بعد أن انهارت دولة بنى زيان واتخذ من (الجزائر) عاصمة للملك الاسلامي الجديد ، وهكذا نشأت مدينة الجزائر وبسطت في مدة وجيزة جدا سلطانها على كامل البلاد التي أصبحت تدعى البلاد الجزائرية ، وقبل السلطان سليمان القانوني (ضمها الى السلطة العثمانية ، ومن هنا دخل الاتراك العثمانيون في حلبة الصراع بين العرب والاسبان في شمال إفريقيا .

وهكذا نشأت الدولة الجزائرية التي تعترف بخلافة سلاطين استامبول ، وأخذت توسع استقلالها شيئا فشيئا حتى لم يبق بينها وبين الخليفة العثماني سوى الروابط الادبية الشكلية . فكان السلطان يصادق على تعيين (الباشا) الذي ينتخبه الديوان الحكومي في مدينة الجزائر ، وإذا وقعت حرب خارجية ترسل الجزائر بقطع من اسطولها وجماعة من متطوعيها للمشاركة في الجهاد تحت راية الخليفة ، اما ماعدا ذلك فالدولة الجزائرية حرة مستقلة في ادارة شئونها وليس للسلطة العثمانية عليها سوى حق السيادة .

وانتظم سلك الادارتين السياسية والعسكرية في البلاد بصفة كان يحسدها عليها الكثير من بلاد أوروبا . فكانت السلطة التشريعية بين يدي مجلس يدعى (الديوان) وفيه كبار رجال الدولة ورؤساء الجند ، اما السلطة التنفيذية فهي بيد الباشا الذي ينتخبه الديوان ، وكان يلقب بـ (الدای) أي رئيس الجماعة ومجلس وزراء مؤلف من ستة رجال : وزير البحرية ، وزير الحربية

وزير المالية . وحساب الدولة : رئيس الديانة والعدل ، رئيس  
ممتلكات الدولة ، سكرتير .

وبعد احلال النظام اللامركزي كانت الجزائر تنقسم اربع ولايات :  
كل ولاية لها حاكم خاص لها يدعى « الباي » وهو مسئول عن  
اعمال ولايته ، وكانت العملة الجزائرية هي الاساس في التبادل  
التجارى كما كانت تتداول العملات الاجنبية ايضا في الجزائر .

وهكذا كانت دولة الجزائر قوة عسكرية كبيرة دولة قوية  
عظيمة شارك اسطولها في كل معارك البحر المتوسط في الطليعة ،  
بل لقد كانت الجزائر سيدة البحار طوال القرون : السادس عشر  
والسابع عشر والثامن عشر ، بل لقد استطاعت الجزائر صد  
اسطول الحلفاء عام ١٨٢٥ الذى فاجأها وذلك بالاشتراك مع  
الاسطول المصرى حيث اظهرا بطولة عظيمة في موقعة « نغارين »  
المعروفة .

وهكذا اثبتت الوقائع التاريخية ان الجزائر لم تكن اطلاقا في  
مطلع القرن التاسع عشر باقل من اى دولة اوروبية اخرى حضارة  
او تقدما : بل لقد كانت الحركة التعليمية قائمة في الجزائر حتى  
عام ١٨٣٠ على قدم وساق فكان يوجد بها حوالى ٣٠٠٠ مدرسة  
ابتدائية وكانت جامعات الجزائر الاربعة الشهيرة خير دليل على  
ذلك التقدم وهى :

- ١ - جامعة الجزائر .
- ٢ - جامعة قسطنطينية .
- ٣ - جامعة تلمسان .
- ٤ - جامعة منرونا .

كما كانت انتصارات الجزائر في مطلع القرن التاسع  
عشر قوية تقوم على اسس متينة وكانت وارداتها التجارية واسعة  
جدا ، وكانت صناعتها المحلية كثيرة الجودة وذات صيت رائع  
وكانت مزارعها غنية وتقوم بتصدير الحبوب والفواكه والاصواف .

اما اذا اردت التعرض للدولة الجزائرية من الناحية التاريخية  
فانى اجدتها « والحقائق التاريخية سند لى » فى ذلك ليس فقط  
دولة مستقلة ثابتة السيادة على اراضيها ، بل هى ايضا دولة قوية  
ذات مهابة واحترام لها كيانها الدولى تحتل موقعا استراتيجيا

عظيما على ساحل البحر المتوسط مما اعطاها قوة مرهوبة مكنتها من حماية طرق النقل البحرية التابعة للدول القريبة على اختلافها .

وكان على تلك الدول ضمانا لسفنها وعملا لتوفير الامان لها الارتباط مع « داي » الجزائر بمعاهدات صداقة وان ترسل قنصلا لها يقيم في الجزائر . وفي مقابل ذلك تتقاضى الجزائر جزية سنوية تدفعها لها هذه الدول ، وبالفعل عملت الجزائر على حماية سفن فرنسا وهولاندا وبريطانيا والولايات المتحدة وتأمين قوافلها التجارية في البحر المتوسط . ويمكن النظر الى ذلك باعتباره دليلا على ان الجزائر كانت قوة كبرى تخطب الدول الكبرى ودها وتسارع بتوقيع موافيق الصداقة معها ، بل واكثر من ذلك عملت الدول الأوروبية ان ذاك على انشاء علاقات تجارية وكذلك عقدت دول أوروبا الغربية احلافًا عسكرية مع دولة الجزائر المستقلة ولاسيما فرنسا التي تنص احد احلافها العسكرية مع دولة الجزائر المستقلة في ذلك الوقت على أن للملك « فرانس الاول » ملك فرنسا الحق في طلب مساعدة الاسطول الجزائري في حالتين : الاولى ضد جنوه عام ١٥٣٥ والاخرى ضد شارل الخامس عام ١٥٣٦ وقد تم تبادل السفراء بين فرنسا والجزائر لأول مرة في عام ١٥٦١ وفي عام ١٥٩٥ طلب هنري الرابع والجزائر لأول مرة في عام ١٥٦١ وفي عام ٢٥٩٥ طلب هنري الرابع ملك فرنسا الاسطول الجزائري لمساعدته في تحرير مرسيليا من الحصار الذي ضربته حولها ( ليجا ) عندما طلب الفرنسيون الكاثوليك من دوق جوبر الكاثوليكي أن يتولى حكمهم بدلا من هنري الرابع البروتستانتي .

قد دافعت الجزائر المستقلة عن استقلالها ضد دول أوروبا الغربية وخاصة اسبانيا والدانمارك وفرنسا التي طالما حاولت غزو الجزائر والسيطرة عليها فقد انهزم الاسبان مرتين امام اسوار الجزائر : الاولى عام ١٥٤١ والاخرى سنة ١٧٧٥ كما اندحرت فرنسا عدة مرات في محاولاتها السيطرة على الجزائر ورجوعها خائبة مقهورة امام الساحل الجزائري ، فقد كان الاسطول الجزائري يتكون من اكثر من ٢٢٠ سفينة يركبها ما يزيد على ٣٠ الفا من ابناء البلاد الابطال .

وفي معرض الحديث عن التعاون الجزائري الفرنسي عبر قرون التاريخ الماضية ، ذلك التعاون القائم على الاستقلال والسيادة التي كانت تتمتع بها دولة الجزائر الحرة نرى ان الجزائر كانت من أولى الدول التي اعترفت بشرعية الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩ وبحكومتها . وما تلك المساعدات الاقتصادية التي كانت تقدمها الجزائر لفرنسا عقب الثورة الا دليل بارز على ذلك التعاون والتأييد الكبير الذي كانت تمارسه الجزائر في علاقتها الخارجية المستقلة مع دولة فرنسا الباغية التي تغالط اليوم وتشفق بصفاة بأرض الجزائر الفرنسية وبوطن الجزائر الفرنسي ، وتنسى فرنسا اليوم او تناسي من هي الدولة المستقلة التي ساعدتها في محنتها وانقذتها من حالة الفقر والجوع التي أصابتها فمكنتها من الحصول على كميات كبيرة من القمح كسلفة وكمعونة . في عام ١٧٩٤ وبعد سنتين من هذا التاريخ أي عام ١٧٩٦ أقرضتها سلفة مالية أخرى قدرها ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك لمساعدتها على شراء كميات أخرى من القمح لتقيم بها أود الشعب الفرنسي الذي كان يعيش في حالة اقتصادية يرئى لها نتيجة للاضطراب الذي أحدثته الثورة في اقتصادياتها ، وقد كانت فرنسا حتى عام ١٨١٩ مدينة لدولة الجزائر المستقلة بـ ١٨ مليوناً من الفرنكات الذهبية .

هذا عن علاقات الجزائر المستقلة بفرنسا . أما عن علاقاتها الخارجية بدول الغرب المختلفة فكانت قائمة على نطاق واسع حيث أبرمت الجزائر مع كل من إنجلترا وهولندا في القرن السابع عشر معاهدات صداقة ومعاهدات أخرى لتنظيم التعاون التجاري بينهما ، وكانت الجزائر في القرن الثامن عشر ثاني دولة تعترف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد أجريت المفاوضات عام ١٧٩٢ بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية والجزائر لتبادل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية ثم تم التوقيع على معاهدة الامن والصداقة في ٥ سبتمبر عام ١٧٩٥ بين كل من الدولتين الأمريكية والجزائرية .

هذه هي الدول الجزائرية المستقلة ، هذا هو وضعها الداخلي ونظامها الإداري ، وهذه هي سياستها الخارجية وعلاقاتها السياسية والتجارية مع غيرها من دول الغرب الأوروبية وغير

الأوروبية . وهذا هو دورها الإيجابي في المجال الخارجي وعلى الصعيد الدولي .

وهذه هي الجزائر العربية مشمولة بالرعاية التركية الاسمية في نطاق الامبراطورية العثمانية . بها من الجند العثماني ثلاثة آلاف رجل فقط ، وما كانت هذه المرحلة التاريخية الا حقبة من حقبة التاريخ الجزائري الخالد وحلقة من حلقاته الاستقلالية الرائعة التي عاشها الجزائريون من يوم أن أسسوا دولة بني رستم ، والى يوم انهيار المقاومة للامير عبد الله القادر الجزائري .

فهل كان من الممكن لفرنسا الباغية ان تنكر في بساطة ويسر ذلك التاريخ الجزائري الخالد . وهي الحضارة المغربية العربية الاسلامية الراسخة ؟ وهل كانت تستطيع ان تغطي ذلك السجل المضيء ؟ وان تفضض عينها عن هذه الحقائق الدامغة ؟

هذا هو التاريخ ومنطقه القويم يؤكد الدولة الجزائرية الحرة ذات الكيان العربي القومي المستقل ، واعتقد ان التاريخ بمنطقه القويم كان قادرا على دحض مزاعم فرنسا الجوفاء وادعاءات الاستعمار الخرقاء .

### الحملة الجزائرية ( اسبابها ودوافعها )

وجهت فرنسا عدوانها الى الجزائر بحدودها في ذلك من دون شك آمال واهداف ودوافع ولكننا اذا اردنا ان نلمس هذه الاهداف والدوافع على ضوء هذه الحقائق التاريخية وحدها فستكون هذه الاهداف هي التي حركت فرنسا ودفعتها الى ارتكاب جرمها هي الاهداف الخفية والدوافع الحقيقية التي تختفي وراء تلك الادعاءات الكاذبة والاسباب الظاهرة التي تقوم بترويجها ادوات النشر وأبواق التاسع عشر وطلبة قوى الاجرامالية الحديثة .

فبعد سقوط حكومة الجمهورية الفرنسية الاولى وانتهاء الحكم الامبراطوري وعندما تولى عرش فرنسا الملك الطاغية شارل الخامس . عملت فرنسا ، او بالاحرى تظاهرت بانها ستحتل الجزائر انفاذا لشرف فرنسا الذي اهدرت نتيجة لحادثة قصر القصبة المشهور حيث تلقى ( دينال ) قنصل فرنسا العام في الجزائر صفعة على وجهه من « الداى حسين » بمذبة كان يحملها في يده

آن ذاك وذلك في ٢٩ من ابريل عام ١٨٢٧ جزء لعجرفته وكبريائه  
واهانت « الداي » الذي سأله عن السبب في عدم رد الملك الفرنسي  
على رسائله فاجاب في غرور مقيت بان ملك فرنسا لا يمكنه التنازل  
للرد على داي الجزائر . وكذلك محاولة الحكومة الفرنسية في  
ذلك الوقت كسب عطف الراى العام وتأييده في حربها مع الجزائر  
تلك الحرب التي أثارت الراى العام والشعب الفرنسي ، حيث  
كانت فرنسا في ذلك الوقت تعاني من الاضطراب والضعف الكثير  
نتيجة لحروب نابليون التي خرجت منها متداعية منهوكة ، وقد  
كانت مقاومة الجزائريين العنيفة وملايين الفرنكات وآلاف الارواح  
التي فقدتها فرنسا في حملتها لاحتلال القطر الجزائري ، وإيمان  
الشعب الفرنسي بمبادئ الثورة الفرنسية وبالمثل التي نادى  
بها ذلك الايمان الذي تزعزع بتلقيه ضربة في الصميم نتيجة  
سلوك الحكومة الفرنسية الشائن وتحقيق انتصارات استعمارية  
وماترتب على ذلك من شعور عميق لدى الشعب الفرنسي واحساس  
بعمى الحق الذي ارتكبته فرنسا وسخطه تجاه عملها المخزى .

كل ذلك عمل في مجموعه على إثارة استنكار الشعب الفرنسي  
لتلك المغامرة المخزية ، فكان على الحكومة محاولة منها لترضيته  
وتهدئة ثأثرته المتظاهر بانها ما عملت الى فتح الجزائر واستعمارها  
الا تنفيذاً منها لرسالة السماء وأداء لواجب الرجل الأبيض تجاه  
الشعوب الملونة في رفع شأنها وبعث الحضارة في كيانها .

هذان هما السببان أو الحجتان الواهيتان اللتان ساقتهما  
فرنسا لتسويق احتلالها للجزائر وفرض حكمها التعس على  
الشعب الجزائري .

ولندع هذه الاكاذيب جانباً لنتعرف حقيقة اهداف فرنسا في  
غزوتها للجزائر ودوافع هذه الغزوة وهى في حقيقة الامر اسباب  
اربعة هى :

١ - رغبة شارل الخامس والحكومة الفرنسية في ذلك الوقت  
توطيد مركز الدولة الفرنسية وكسب تأييد الراى العام المسيحي في  
سائر الدول الاوروبية وكذلك الراى العام الفرنسي بفزوه دولة  
مسلمة هى الجزائر ، ومباشرة حرب خارجية مع دولة عربية تضع  
للإمبراطورية العثمانية وأحرار انتصارات استعمارية تفاخر بها

أوروبا عالم الشرق القديم وتؤكد له ادعاءها بتفوقها العنصري والمادى .

٢ - رغبة الحكومة الفرنسية فى السيطرة الاستعمارية على شمالى إفريقيا بالنظر الى ما يمكن ان يكون عليه الشمال الأفريقى من أهمية كبيرة بالنسبة الى العرب بسبب اليد العاملة الرخيصة والمواد الخام الاستراتيجية والفلات الزراعية الضرورية للشعوب الأوروبية والسوق المناسبة لتصريف المنتجات الاستهلاكية الزائدة وفى كلمات قصيرة استغلال القطر الجزائرى واستثمار رأس المال البشرى الجزائرى ابشع استثمار لمصلحة فرنسا وسدا لنهم الاستعمار وذلك بسيطرتها على اقاليم متسعة من الصحراء .

٣ - ايجاد ميدان لتدريب الجيش الفرنسى ومباشرة اعمال حربية تدريبية بها تكمل تقوية وتطوير الجيش ليكون دائما على استعداد لخوض معارك عسكرية تشنها فرنسا على الشعوب الآمنة لتحرز من ورائها امجادا استعمارية ولتتخذ من الحروب صناعة دائمة لها تمارسها ضد الآخرين من ابناء شعوب إفريقيا وآسيا ، وقد كان .

٤ - وجدت الحكومة الفرنسية ان الحرب الجزائرية سوف تفتح لها فرصة للتخلص من عدد كبير من العاطلين والمشاغبين الذين يمثلون عناصر غير مرغوب فى بقائها فى الوطن الفرنسى لما تسببه هذه العناصر اليسارية لفرنسا من اضطراب ومتاعب وكذلك محاولتها ابعاد المنبوذين والمشردين والحكوم عليهم بعقوبة النفى . فكانت الجزائر فى نظرها هى المجال الطبيعى لمباشرة ذلك .

ومن الواضح اذن ان الحملة الجزائرية التى جندت لها فرنسا ٨ جنرالات يقودون اسطولا عظيما يتكون من اكثر من مائة سفينة حربية ويزيد على المائتين من سفن النقل و ٣ آلاف مقاتل لم يكن كل ذلك من أجل ارضاء شرف فرنسا وكبريائها التى اهدرت بل يتضح لنا وكما يؤكد المؤرخون ان خطة الهجوم كانت مبنية منذ وقت طويل . ولنا فى التاريخ سند وتأييد فعندما فقدت فرنسا مستعمراتها فى أمريكا الشمالية ومقاطعاتها فى الهند فى حروب القرن الثامن عشر واضطرابات الثورة الفرنسية اخذت تحاهد طوال مائة السنة السابقة على احتلالها الجزائر لكى تسترجع مقامها

كدولة استعمارية . فكان ان فكر نابليون الاول في اختصار الطريق  
البحرى الذى يفصل فرنسا عن الاراضى التى تخضع لها فقاد  
حملة لغزو مصر مؤملا ان تصبح قاعدة للتوسع الاستعماري  
الفرنسي بالشرق وكانت بريطانيا تعرف ان هذه الضربة موجهة  
اليها في الهند فوقفت امامه وقطعت عليه الطريق البحرى واضطر  
جيشه ازاء ذلك الجلاء ، فالحملة الفرنسية على مصر كانت من  
العوامل التى ساعدت على تفتح الازدهان الى استعمار الجزء  
الافريقي المقابل لاوروبا فهي بحق فاتحة الاستعمار الفرنسي في  
القرن التاسع عشر ، فلا ننسى ان فرنسا حين اضطرت الى الجلاء  
عن مصر كانت تفكر في العودة اليها وتأسيس الامبراطورية  
الاستعمارية عن طريق البر في هذه المرة ان امكن . ولذلك  
اتجهت انظار رجالها الى بقعة من الساحل الافريقي تكون اقرب  
اليهم وابعد عن اثاره شكوك ومخاوف بريطانيا . فلم تجد فرنسا  
اقرب من الساحل الجزائري . اذ هو اسهل طريق للعبور الى  
افريقية واسلم ما يصلح لاتخاذ مرافقه مثل الجزائر ووهران وغيرهما  
من المرافئ كرهوس جسور للزحف الى الداخل ، وقد خدمتها  
الظروف حينما اشتد العداء بين مصر وتركيا فانقسم الشرق على  
نفسه وخلا لها الجو في الجهة التى تتطلع الى امتلاكها . فكانت  
الفرصة المواتية للملك فرنسا الذى اوعز لمنسوبيه في الجزائر بأن  
يغتنم فرصة مغيب الاسطول الجزائري في (نفارين) لخلق حادث  
يسوغ غزو الجزائر وفرض السيطرة عليها ، فقد كان عدوانا مدبرا  
وخطه معدة ودولة تتحين الفرص لتشرع في جريمتها ، لتحقيق  
احلامها .

## الظروف الدولية التي تم فيها الاحتلال

كانت فرنسا في القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر اقوى امم الارض واكثرها سكانا اذ بلغ عدد سكانها ٢٥ مليونا وهو عدد عظيم لم تكن عليه دول اوروبا في ذلك الوقت ، وبذلك تغافل الساسة الأوربيون بالاتجاه الجديد الذي سارت فيه فرنسا ووجدوا ان من مصلحة السلام والأمن في القارة الأوروبية تشجيع هذا التوسع والتزام سياسة الصمت ازاء هذا العدوان لأنه سيؤدي الى شغل قوى فرنسا البحرية والى توزيع جهود هذه الامة الحربية في ناحية لا تضرهم خصوصا اذا وجد ضباط الجيش الفرنسى الذين أسكرتهم ذكريات الانتصارات الماضية اذ وجدوا مجالا لنشاطهم في بلاد بعيدة عن اوروبا بعد ان دوخوا امعا كثيرة بحروب دامت جيلين - فارتياح اوروبا اذن لعدوان فرنسا على الجزائر كان لاكثر من سبب واحد . وقنعت فرنسا ورجالها بهذا الدور وزاد تمسكهم به خصوصا بعد هزيمة ١٨١٥ وانتصار الحلفاء على فرنسا في موقعة اليزج ، وهزيمة الفرنسيين في حرب ١٨٧٠ مع المانيا .

فكان موقف الدول الأوروبية من عدوان فرنسا على الجزائر موقف التأيد السلبي وحينئذ دفعت فرنسا بجيوشها بين سنة ١٨٢٠ - ١٨٤٧ الى القطر الجزائري في الوقت الذي كانت جيوش مصر وتركيا تتقاتل قتالا كانت نتيجته ان انتهى بالفشل للجانبين في حين اندفعت هي بقوة لترسيخ اقدام جنودها على الارض الافريقية التي حملت اعلام دول الموحدين والمرابطين وكانت في وقت ما موقعا للعروبة وللقومية العربية فاخذت تحارب اهلهما ونسبتهم .

ولما انتهت حروب الاتراك والمصريين وكانت مصر وقتئذ تحت حكم محمد على الذي كان يسير على سياسة وفاق ومجاملة للفرنسيين الى حد بعيد ، وكان اتصافون بينهما على اوسع نطاق

بعد ان انتهت تلك الحرب لم يكن بوسع احد الطرفين ان يمسد يد المساعدة او يجهر بالدعوة لنصرة المجاهدين من القبائل الجزائرية المدافعين عن بلادهم . فكان ان سلم الامير عبدالقادر للفرنسيين . واذا نحن امام اول هزيمة للاسلام بشمال افريقية واذا نحن في بداية الارزاء التي اعقبت توغل الفرنسيين في المغرب ونتج عنها تأسيس امبراطورية ضخمة في بلاد عربية ، فكانت حادثة سقوط الجزائر تحت وطأة العدوان الفرنسي هي نقطة البدء والانطلاق الاستعماري على بقية دول المغرب وسائر الشرق ، كانت بداية المحنة التي قدر لشعوب القارتين الافريقية والاسيوية على السواء تحملها والعيش في اتونها الرهيب . كانت فاتحة لنكبة عامة منيت بها شعوب الشرق بأسرها ولعدوان صارخ على الحرية وكل معاني الحياة الشريفة ، كانت محاولة لمحق الوطنية والقومية العربية ، نعم ليبق خالدا في ذكرياتنا ثابتا في اذهاننا نحن العرب جميعا ان هذا الحكم الاستعماري التعس . وان هذا العدوان الأوروي الرهيب على حرياتنا ومقدراتنا قد امتد الى بلادنا من مدينة الجزائر في اعقاب العدوان الفرنسي وانتصار فرنسا في جزائرنا العربية الشهيدة عشية ذلك اليوم الاسود ٥ من يوليو ١٨٣٠ .

## الثورة الجزائرية

اعتقد (١) الجزائريون لفترة طويلة من الزمن ان في وسعهم اقناع فرنسا بالطرق السلمية بضرورة وضع حد للاستعمار ، وكانوا يعتقدون ان الحرب العالمية الثانية قد دقت النواقيس معلنة انقضاء عهد الاستعمار والاضطهاد . معلنة ان العالم مشهوده مبادئ الحرية والسلام والاخوة . تلك المبادئ النبيلة التي اقرها العالم ووردت في ميثاق حقوق الانسان .

وهكذا كان الجزائريون متلهي كمثل سائر شعوب العالم على استعداد لان يحتفلوا في ٨ من مايو ١٩٤٥ بانقضاء الحرية على الاضطهاد . ذلك النصر الذي ساهم الشعب الجزائري مساهمة فعالة في ارسائه وتحقيقه والذي كان يعتقد ان سيصيب منه نصيبا . ولكن فرنسا ردت على هذا الترقب والامل بحملة بشعة من الارهاب فقتلت ٥٠٠٠ نسمة ، هذا هو ما يعنيه يوم ٨ من مايو ١٩٤٥ بالنسبة للجزائريين .

وعلى الرغم من هذا لم يقطع الجزائريون الامل في الكفاح السلمي فأعلنوا عن عزمهم على تحرير بلادهم بالطرق التي سمح لهم بها الاستعمار - وعن طريق الكفاح السياسي الفويل - ولكن رد الاستعمار على هذا كان فتح السجون والقاء الجزائريين بها وتعذيبهم واغتيالهم ونفيهم عن ديارهم وعندما وصل الحال الى هذا الحد وجد الشعب الجزائري نفسه مضطرا للثورة على المبودية والاضطهاد ، وكان هذا هو السبيل الوحيد الباقي لاسترداد الاستقلال المفتصب والحرية المهدورة .

واندلعت نيران الثورة في الأول من نوفمبر عام ١٩٥٤ (٢)

١. تقرير الوفد الجزائري في مؤتمر خسان السبعين  
الاسيوية الافريقية .

(٢) من مطبوعات جبهة التحرير الوطني الجزائري .

في جميع أنحاء القطر الجزائري فهاجم الوطنيون المسلحون مراكز البوليس والثكنات العسكرية وطرق المواصلات في آن واحد ثم اعتصموا بالجبال . وقد أصبحوا نواة جيش التحرير الوطني الذي يقض الآن مضاجع الفرنسيين بحرب عصابات لا هوادة فيها، وكانت وحدات هذا الجيش مركزة في المناطق الجبلية في البداية ( جبال اوراس وشمالى قسنطينة ومناطق القبائل ) ثم أخذت تنزل تدريجا الى السهول حيث أصبحت وحدات قوية ولم تلبث أرض الجزائر كلها أن أصبحت أرضا ثائرة بعد مضي أشهر قليلة على اندلاع الثورة في الجبال ، وفي الوقت نفسه انتظمت هيئة سياسية تمثل روج الجيش ، وهي جبهة التحرير الوطني. دعت الشعب الى توحيد صفوفه والى تنظيم الكفاح السياسى والحربى فلبى الشعب هذا النداء بحماسة وسار أفواجا وراء جبهة التحرير وآمد الجيش بالرجال والمؤن ونظم شبكات المخابرات وأوى الهاربين من البوليس وساهم في جميع الأعمال التى يحتاج فيها جيش التحرير الى أعوان. كعمليات التخريب والنسف وغير ذلك . وهكذا تحققت وحدة الكفاح بين الجيش والشعب وهى وحدة لا بد منها للنجاح في جميع حركات المقاومة . وقد انتظم الشعب عماله وفلاحوه وتجاره وموظفوه ورجال الفكر فيه وراء جبهة التحرير وطبق الجميع تعليمات الجبهة برغم وسائل القمع والوحشية التى عمد اليها الفرنسيون ، ومثال ذلك ان الاضرابات المقررة في أيام ٥ من يوليو ١ ذكرى وصول أسطول الحملة الفرنسية ( والاول من نوفمبر من كل عام تنفذ بحذافيرها وفي هذه الاثناء ضاعف جيش التحرير مقدرته الحربية بفضل الاسلحة التى استولى عليها من العدو كما استطاع بعد شهور من القتال المريع ان يتدرب التدريب اللازم لينزل بالقوات الفرنسية التى تفوقه كثيرا في العدة والعدد هزائم ذريعة خلال صيف عام ١٩٥٥ وما بعده بشكل دائم ، ولما يئس الفرنسيون من امكان منازلة المجاهدين تحولوا الى المدنيين العزل واخذوا يقتلون في خسة : الشيوخ والنساء والاطفال وأصبحت الطريقة المعروفة بطريقة (التهدئة) أمرا مألوفا . غير ان هذا التقتيل لم يضعف أبدا الروح المعنوية للشوار الجزائريين بل كانت نتيجة الوحيدة عزمهم الاكيد على التحرر .

وفي الأول من أكتوبر عام ١٩٥٥ فتح جيش التحرير جبهة  
حربية جديدة في غربي الجزائر بعد استعدادات جديدة وبذلك  
أصبح الاحتلال الفرنسي يعاني قلقة دائما .

ويحاول الفرنسيون أن يواجهوا هذا السيل الوطني بارسال  
المدد تلو المدد حتى أصبح تعداد الجيش الفرنسي يربو على  
٦٠٠.٠٠٠ ألف جندي يحملون الأسلحة الحديثة المستمدة من  
حلف الأطلسي : ويجب أن نضيف إلى هذا المدد رجال البوليس  
والجندرية والمدنيين الأوروبيين الذين سلمهم الجيش الفرنسي .  
ولدى هذا الجيش الضخم طائرات وبوارج حربية . غير أن ذلك  
كله لم يجد فتىلا إذ أن جماعات المجاهدين تحنفت بميزة المبادرة  
وتنزل بالوحدات الفرنسية هزائم كثيرة ودائمة .

وقد استطاع جيش التحرير بفضل العتاد الذي أسنولى  
عليه من ساحات القتال وبفضل تقاطر المتطوعين عليه أن يتحول  
من حرب المعصابات إلى حرب جزئية بضطلع بها جيش نظامي  
يعمل على ضوء المبادئ الآتية :

- ١ - مواصلة الكفاح حتى الاستقلال الكامل .
- ٢ - مواصلة القضاء على قوات العدو والاستيلاء على أكبر  
قدر من العتاد الحربي .
- ٣ - مضاعفة القسود المادية والمعنوية لوحدات جيش  
التحرير .
- ٤ - تطبيق سياسة الحركة السريعة في العمليات مع  
الفرق ثم التجمع والعودة إلى الهجوم .
- ٥ - كفاءة الاتصال الوثيق بين مراكز القيادة والوحدات  
المجاهدة .
- ٦ - تقوية شبكة المخابرات داخل صفوف العدو وبين  
الشعب .
- ٧ - تقوية نفوذ جبهة التحرير على الشعب حتى يكون  
الشعب دائما عضدا قويا مأمونا .

- ٨ - تطبيق نظام دقيق داخل صفوف جيش التحرير .
- ٩ - تنمية روح الاخاء والتضحية والعمل الجماعي بين المجاهدين .
- ١٠ - احترام مبادئ الاسلام والقوانين الدولية في القضاء على قوات العدو .

وقد تكونت منظمة جديدة وهي المنظمة الفدائية التي ظهرت في المدن نفسها وقد قامت للرد على جميع عمليات التقتيل التي يرتكبها الجيش الفرنسي والميليشيا الفرنسية المسلحة ضد المدنيين الجزائريين، وقد حاربت المنظمة الفدائية وكلاء الاستعمار والخونة في جميع الاماكن .

وتحدثت مجندات المنظمة الفدائية نهارا جهارا بالقنابل والمدافع الرشاشة والمعدات واصبح استخفاف الفدائيين الجزائريين بالموت واقبالهم على التضحية أمرا مأثورا يشبه الأساطير . واتسع هذا النشاط حتى ان جماعات الفدائيين الوطنيين اصبحت جيشا آخر يلبس الزي العسكري .

### مؤتمر ٢٠ أغسطس عام ١٩٥٦

وبعد ان تم توحيد القوى الوطنية فوق كل سبيل من أرض الجزائر وفي جميع الميادين لم يكن بد من صيانة هذه الوحدة وحفظ حيويتها ، ولذا عقدت الجبهة والجيش مؤتمرا بمكان ما في الجزائر بتاريخ ٢٠ من أغسطس عام ١٩٥٦ وقرر المؤتمر على ضوء الحوادث انشاء أداة للتوجيه هي المجلس القومي للشورة الجزائرية ( ولهذا المجلس صبغة سياسية وحرية ويتكون من ١٧ عضوا أصيلا و ١٧ عضوا احتياطيا كما أنشأ المؤتمر لجنة التنسيق والتنفيذ مكونة من خمسة أعضاء منتخبين من ضمن أعضاء المجلس السابق الموجودين في الجزائر ، وهذه اللجنة عبارة عن اركان حرب محلة المختار في مكان ما من القطر الجزائري مع رجال المقاومة .

ومن الناحية العسكرية اتم المؤتمر تنظيم الوحدات المحاربة

وتوزيع الاختصاصات كما وضع قواعد الترقية والنقل وحدد  
أهداف الثورة ووسائلها وموقفها من المشكلات القائمة .

ولذا فإن مؤتمر ٢٠ من أغسطس ١٩٥٦ يعتبر حقيقة مرحلة  
جديدة وهامة في تاريخ الثورة الجزائرية ، وهذه المرحلة تعني  
مضاعفة الجهاد الحربي وامتداده جنوبا في اتجاه الصحراء كما  
تعني من الناحية السياسية مضاعفة نشاط مندوبي جبهة التحرير  
في الخارج ، وقد أدى النشاط فعلا الى تدويل المشكلة الجزائرية  
بقيدتها في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة لدورة نوفمبر  
عام ١٩٥٦ .

وسارت الثورة الجزائرية في انتفاها من مرحلة الى مرحلة  
لتصبح من أعنف ثورات التاريخ وأكثرها حقسا على قوى  
الوحشية والطغيان ، فقد أصبحت الطلقات تدوى في شوارع  
باريس نفسها والحرائق أصبحت تخفق سماوات المدن الفرنسية  
وطولون ، ففي مرحلة ما قبل وقف إطلاق النار وصلت الحرب  
الجزائرية الى مرحلة أكثر حرسا وقوة منها في أي وقت آخر .  
فلم تعد الهجمات الفدائية الجزائرية مقصورة على جبال ومرت  
ووديان الأرض البقلة .

لقد ذهبوا الى فرنسا ، يؤدونها في عقر دارها وقد أرادوا  
بحملاتهم البدائية في الشوارع والبيوت والحقول والمصانع والموانئ  
الفرنسية ذاتها أن يثبتوا لجنرالات فرنسا أن كل شيء ممكن ،  
وأنه ما زال في جمعهم الكثير .

أن نصف مستودعات البترول الفرنسية ممكن ومهاجمة  
أقسام البوليس في المدن الفرنسية ذاتها ممكن وأن ضرب جمال  
سوستيل بالرصاص ممكن ومحاولة اغتيال ابن عم ديجول ، بل  
ومحاولة نصف برج اينفل نفسه ، فاية جسارة استورية أعنف  
من هذه . وبما ترى هل أكون مبالغا إذا قلت أن الثورة الجزائرية  
— بتاريخها — بعنفها — بروعتها — كانت علامة نصر جديدة في  
طريق الشعوب ، وانطلاقة كفاحية عملاقة لتسبب بصنع المعجزات

## المرتكزات الفكرية الفرنسية

لقد كانت الجزائر دولة ذات سيادة تامة قبل الفتح الفرنسي ولم تفقد سيادتها الا بحكم الفتح الاستعماري عام ١٨٣٠ ، فاذا كانت فرنسا ظلت متمسكة بذلك الزعم أو الهذيان الاستعماري الذي ما فتئت تردده الكتب السياسية والفقهية لقادة الاستعمار وعلمائه من أن الجزائر جزء من فرنسا ، فإن هذه الصفحات تتصدى للإجابة على هذا السخف الهزيل الذي لا يصمد أمام الحقائق الصارخة ، وهي كذلك حجة في دحض من يدعي أن الجزائر شعب فرنسي وأرض الجزائر جزء من فرنسا وأن المشكلة الجزائرية مشكلة فرنسية داخلية ومن اختصاص فرنسا وحدها أن تبحث لها عن حل .

فاول ما كان يلفت النظر ويشير الدهشة في هذه القضية ، أنه لم يوجد بين القطار الجزائري وفرنسا معاهدة الا على غرار المعاهدات التي تربط دولة محبة بأخرى خاضعة للحماية ، لذلك فإن احتلال فرنسا للجزائر كان يعتمد على وثيقة دبلوماسية بل على مجموعة من النصوص التي وضعتها فرنسا بمفردها بما يتفق وهواها . فلقد جاءت فرنسا الى الجزائر كدولة غازية ، وبنت بقاءها بالبلاد على مجرد الحاقها بها ، ذلك اللاحق الذي كان يسير جنباً الى جنب مع الغزو .

فالاستعمار الفرنسي كان ينكر على الشعب الجزائري سيادته في وطنه . مع أن السيادة المذكورة كان مترفاً بها قبل الفتح الفرنسي من جميع الدول . لقد اعتبر الجزائريون مدة طويلة رعايا فرنسيين ثم أصبحوا ابتداء من تطبيق سياسة الاستيعاب « فرنسيين مسلمين » وكل ذلك بارادة المشرع الفرنسي أي الاستعمار وحده ، وفيما يلي مجموع القوانين والنصوص التي قررت هذا اللاحق .

(١) فرنسا في الجزائر . لعبد العاطي جلال

١ - قانون ٢٢ من يوليو ١٨٣٤ الذى اعتبر الجزائر ارضا فرنسية يتولى السلطة فيها حاكم عسكري تحت سلطة وزير الحربية الفرنسية مباشرة .

٢ - قانون ٤ من مارس عام ١٨٤٨ الذى يعتبر الجزائر جزءا مكملا لفرنسا .

٣ - قرار مجلس الشيوخ الفرنسى الصادر فى ١٢ من يوايو عام ١٨٦٥ والذى جعل من الجزائريين المسلمين " فرنسيين " .

٤ - قانون ٢٤ من اكتوبر ١٨٧٠ الذى يعتبر الجزائر مؤلفة من ثلاث مقاطعات فرنسية .

٥ - قانون ٢٩ من مارس ١٨٧١ الذى بمقتضاه تعين فرنسي حاكما مدنيا تحت سلطة وزير الداخلية الفرنسية .

٦ - الامر الصادر فى ٧ من مارس عام ١٩٤٤ الذى يقضى بان المسلمين الجزائريين فرنسيون وبمنح الجنسية الفرنسية بضعة آلاف من الجزائريين .

ووضع الدستور الفرنسى فى ٢٧ من اكتوبر ١٩٤٦ حدا لهذه القوانين اذ أعلن ان الجمعية الوطنية لها وحدها الحق فى اصدار القوانين ، ولا يمكن ان تفوض ذلك الحق لغيرها ؛ كما أعلن هذا الدستور ان النظام التريمرى لمقاطعات ما وراء البحار هو نظام الوطن نفسه الا ما استثناء القانون وبالتالي تم الانتقال من نظام التشريع المخصوص الى نظام التشريع المشترك .

ان الاطارات التقليدية التى ربطت الجزائر بفرنسا والتى اعتمدت عليها الاستعمارية الفرنسية فى ادامة احتلالها وتثبيت بقائها المجرم فى الارض الجزائرية لا تخرج عن اكدوبتين او ادعائين هما :

١ - يدعى الاستعمار الفرنسى فقدان كيان الشعب الجزائرى ويعمد الى اخفاء تشويه التاريخ الجزائرى القريب والبعيد .

٢ - يدعى الاستعمار الفرنسى كذلك وبصورة اشد ابتذالا

ان الجزائر مقاطعة فرنسية صرفة والجزائريين جزء من الفرنسيين  
والحقيقة التي نعرفها ونعرفها اليوم على هذه الصفحات  
هي ان كل ما ربط الشعب الجزائري بالاستعمار الفرنسي هو  
علاقة قرن أو يزيد من السيطرة والتبعية من جانب والسكاج  
البطولي من جانب آخر .

فهذه الاكاذيب الفرنسية الاستعمارية لا تقوى على الصمود  
امام الحقائق التاريخية او القانونية او القومية او الجغرافية .

فمن الوجهة التاريخية كانت الجزائر قبل الغزو الفرنسي  
دولة مستقلة وقد سبق أن عقدت الدولة المذكورة جملة معاهدات  
دولية مع الدول الاجنبية كإنجلترا والولايات المتحدة ، وكانت  
سيادتها واضحة المعالم والحدود ولها شخصيتها الدولية  
والقومية المعترف بها من عدد كبير من الدول . وكانت الجزائر  
خلال قرون متعددة مضت قوة حقيقية في حوض البحر المتوسط ،  
وكان للجزائر علاقات ودية مثمرة مع معظم بلاد العالم وكانت قد  
أنشأت علاقات دبلوماسية وتجارية واقتصادية مع دول البحر  
المتوسط وبعض الدول الاخرى في القارتين الأوروبية والأمريكية  
مثل اسبانيا وهولندا والدانمارك والبرتغال ، بل مع فرنسا نفسها  
التي يطالعنا التاريخ على أنها وقعت منذ عام ١٦١٩ حتى عام ١٨٣٠  
وهو تاريخ الغزو الفرنسي للجزائر ، ٥٧ معاهدة صداقة وتحالف  
مع الحكومة الجزائرية المستقلة ، ولكنها تزعم الان ان الجزائر  
من فرنسا على الرغم من أنها اعترفت ٥٧ مرة بتوقيعها هذه  
المعاهدات باستقلال الجزائر وسيادتها .

ويحدثنا التاريخ كذلك ان الدولة الجزائرية نفسها كانت  
تمون جيوش الثورة الفرنسية والشعب الفرنسي في عهدي القنصلية  
والامبراطورية النابليونية أثناء الحصار القاري المعروف ، ولم تقم  
الحكومة الجزائرية بهذا العمل احتراما للصداقة والمعاهدات لانها  
اعتبرت المبادئ التي قامت عليها ثورة ١٧٨٩ في فرنسا هي  
المبادئ التي ما فتئت الجزائر تدن بها .

وقد قامت حكومة الجزائر المستقلة بهذا العمل لان شعارها

في الحقل الدولي كان الحق الطبيعي - أي قانون الشعوب - كما قال الداي عمر عاهل الجزائر في رسالة بعث بها إلى «ميدسون» رئيس الجمهورية الأمريكية في أبريل عام ١٨١٦ .

أما من الوجهة القانونية فلم تعترف الدولة الجزائرية بالاعتداء الفرنسي القدر عام ١٨٣٠ . بل استمر الشعب الجزائري يقدم التضحيات الغالية على مذبح الحرية أكثر من قرن كامل ، وقد رفض الجزائريون خلال ١٣٠ عاما كل ما يمت إلى فرنسا بصلة فحافظوا على أنفسهم ورفضوا أي شيء يمس شخصيتهم المستقلة ، كما أنهم لم يعترفوا بالهزيمة ولم يستطع المذابح الدموية التي قام بها الاستعمار في الفترة ما بين ١٨٣٠ - ١٨٤٧ أو عمليات القمع التي أنزلها الاستعمار بالمواطنين في الفترة ما بين ١٨٦٤ - ١٨٧١ لم تستطع هذه كلها أن تخنق شعور الشعب الجزائري الوطني ، فالشعب الجزائري كان يثمر ومنذ أن تعرض لعدوان فرنسا - بنمو وعيه الوطني وضميره القومي المستمر .

والوطنية الجزائرية أخذت بالتصاعد شكلا ديناميا وانجهت بإطراد نحو الكفاح الفعلي المسلح ضد قوى الاستعباد والاستغلال .

أما من الوجهة الجغرافية فمن المعلوم أن الجزائر من إفريقيا العربية التي ترتبط ببقية أجزاء العالم العربي من الوجهة الطبيعية والجيولوجية كل الارتباط ، بحيث أن هذه الوحدة الجغرافية كانت دون شك الإطار العام الذي تكونت ضمنه الوحدة اللغوية والثقافية في هذه المنطقة الحيوية ، التي تسمى بحق « العالم العربي » أما النظريات السياسية الاستعمارية المرتبطة بما يسمونه بثقافة أو حضارة أو جغرافية « البحر المتوسط » فقد وضح جوهرها المزيف لكل ذي عينين وخاصة بعد زوال أحد بناتها الكبار « موسولينى » .

أما من الوجهة القومية فنجد أن المزاج الجزائري القومي

---

(١) أضواء على القضية الجزائرية : لبراهيم كبة

بالتكوين الانثولوجي للشعب الجزائري وحياته المشتركة مع الشعوب العربية الاخرى في حقبة تاريخية طويلة جدا ؛ كل هذا لا يدع مجالا للشك في قوميته العربية العامة مع خصائصه الجزائرية الخاصة ، فالتراث الثقافي الجزائري هو التراث العربي الاسلامي بخصائصه التاريخية المعروفة . ونجد ان وحدة الماضي والحاضر والمستقبل تعمل على اثبات وجود الكيان القومي الجزائري لان الجزائريين يعنون اهم العناية بماضيهم التاريخي ويتدارسونه بشوق واهتمام ويمجدون ابطاله في آلاف القصائد والاغاني الشعبية ، ولا يعادل هذا الاهتمام بالماضي لدى الجزائريين الا التفكير الموحد الجدي في المستقبل ، انهم يخوضون كفاحا عنيدا لا يرحم ضد الاستعمار الفرنسي لتحقيق تحرره الوطني التام واتشاء دولة جزائرية حرة ، جذيرة حقا بان يعيش في كفها مواطنون احرار .

واخيرا فحتى من جهة نظر القانون الطبيعي والاخلاق الدولية فليس من المقبول ابدا ان يسترق فرد معين فردا آخر ولا شعب بذاته شعبا آخر ، فالضمر الانساني اذن يستنكر ويشجب الاستبعاد السياسي الفرنسي للجزائر . وكذلك يستند حق الشعب الجزائري في الحرية ، والسيادة الى مبدأ القوميات المعروف ونتيجته المنطقية حق تقرير المصير لكل الشعوب ، ان هذا المبدأ يقضى « بأهلية » كل قومية في تكوين دولتها الخاصة وحكم نفسها بصورة مستقلة ، وهذه المبادئ التي كانت أساسا لاعلان استقلال المستعمرات البريطانية القديمة في أمريكا الشمالية واتشاء جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٨٤ . فأيدت بعد ذلك بقليل بالثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩ . وطبقت باستمرار طوال القرنين التاسع عشر والعشرين حتى أصبحت اليوم من المبادئ الجوهرية للقانون الدولي العام .

كذلك كانت هذه المبادئ الأساس الشرعي الاول لتكوين غالبية الدول الحديثة الاستقلال التي انبثقت من تقسيم

الإمبراطوريات القديمة الكبرى كالدول البلقانية ودول أمريكا الجنوبية والدول الآسيوية .. الخ .

وهل من الضروري أن نعيد للأذهان بأن هذه المبادئ نفسها كانت أساس تصريح ويلسون الشهير عام ١٩١٧ ومعااهدات الصلح الشهير عام ١٩١٩ .

وقد أعادت الوثائق الدولية الحديثة بعد الحرب العالمية الثانية تأكيد هذه المبادئ وسجلتها في صلب ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذي كانت فرنسا بالذات إحدى الدول الموقعة عليه عام ١٩٤٥ .

واستنادا الى هذه المبادئ الوطيدة كان كان يحق للشعب الجزائري أن يضم نفسه في دولة ديمقراطية حديثة مستقلة كل الاستقلال عن فرنسا .

وإذا (١) كانت فرنسا قد ظلت حتى الامس تعنفد ان الجزائر هي فرنسا وأنه ليس أمة أية قضايا سياسية تطرح بالنسبة الى الجزائر الا بمقدار ما تطرح قضايا بالنسبة الى لبرانو أو البريتاني فمن المؤكد أن هذه الفكرة لم تكن جديدة ، فمنذ أكثر من قرن استخدمت لمحاولة تسويق أفطع مظالم المستعمرين في الجزائر . ولكن منذ بضع سنوات أخذ المستعمرون يعبرون عنها بصورة أكثر فظاعة وذلك على وجه التخصيص ابتداء من الافلاس الذي اعترف به الجميع . فمنذ منح الجزائر عام ١٩٤٧ نظاما جديدا وقانونا أساسيا عندئذ علم الناس جميعا ان الجزائر ليست فرنسا وذلك للأسباب الآتية :

أولا : على رأس الجزائر يوجد أحد الموظفين الكبار يتسبه الولاية وهو الحاكم العام الذي يمثل «حكومة الجمهورية الفرنسية» ويتمتع هذا المقيم الفرنسي في الجزائر بسلطات واسعة جدا ، ولو كانت الجزائر هي فرنسا حقيقة لما كان ذلك الوضع الشاذ .

ثانيا : منذ أن تم التصويت في الجمعية الوطنية الفرنسية على القانون الأساسي والجزائر تتمتع بالإضافة الى الشخصية المدنية والاستقلال المالي .. تتمتع بتنظيم يتضمن بصورة خاصة « جمعة تشريعية جزائرية » تصوت على الجزائية ويكون الحاكم

العام هو الذي يعد الميزانية ويكون هذه الميزانية يجب ان تقرها الحكومة الفرنسية لا ينزعان شيئا من هذه الميزة : ومعروف ان اية مقاطعة فرنسية لا تتمتع بمثل هذه النظم او الاوضاع .

ثالثا : ان المدن والمناطق المهمة هي وحدها التي تشابه فرنسا من حيث الادارة ونظام البلديات فنجد ان لها مجلسا بلديا ورئيسا لهذا المجلس اما الشطر الاعظم من الاراضي الجزائرية فنجد انه مقسم الى « بلديات وسيطة » على راسها اداريون يعينهم الحاكم العام ، وكل ادارى تحت امرته جهاز كامل من الموظفين الحكوميين كالقضاة والاغوات والباش اغوات ، اى انها تتضمن السلطة القضائية والتنفيذية الى جانب نشاطها البلدى التقليدى وبعض الدوائر البلدية الوسيطة هذه تساوى في اتساعها وعدد سكانها المقاطعات الفرنسية .

رابعا : ان اقاليم الجنوب الجزائرى . التى تشمل مساحة تساوى ثلاث مرات مساحة فرنسا تخضع تماما لحكم السلطة العسكرية ... وهل يوجد في فرنسا شبيه لهذا الوضع العجيب ! خامسا : ان الجمعيات المختلفة التى انشأها الاستعمار الفرنسى في الجزائر سواء كانت تشريعية او غير ذلك تؤلف وتنتخب بحيث تمثل مصالح الاستعمار الفرنسى فقط .

بل والذي يتبر الدهشة حقا ويدل على حقيقة الوضع الاستعمارى الذى تعيش فيه الجزائر انه كلما صدر قانون فرنسى من شأنه الاضرار بالاستعمار ، يصدر قرار بأن هذا القانون لا ينطبق على الجزائر . وهذا ما حدث فعلا بالنسبة لقانون الانتخابات : وفقا للنظام النسبى في المجالس البلدية للمدن التى يبلغ عدد سكان كل منها أكثر من ٩٠.٠٠٠ نسمة ، ولم يجر تطبيق هذا القانون في الجزائر . وذلك لان من شأنه ان يضمن انتخابات الاكثريات التقدمية والمناهضة للاستعمار في غالبية المدن حتى مع وجود قاعدة ثلاثة الاخماس والخمسين .

واخيرا ، اعتبرت الادارة الاستعمارية في الجزائر ان جميع هذه التدابير غير كافية ايضا وانها تعتبر امتيازات سخية تتمتع بها الشعب الجزائرى ، ولذلك أصبحت هذه الادارة خبيرة في

فن تزوير النتائج الانتخابية ، وأصبحت تلك الانتخابات الجزائرية مثلا يتندر به العالم في العصر الحديث .

هذا هو الوضع الحقيقي الذي كانت تعيش فيه الجزائر « المقاطعات الفرنسية الثلاث والارض الفرنسية الصرفة » ، ولم تكتف فرنسا بمجرد ترديد هذا السخف الهزيل بل استنجد قادة الاستعمار « بجول رومان » ليحاول ان يوجد لهذا الزعم تسويغا تاريخيا ، وعضو المجمع هذا المستمد دائما لخدمة أحط أعمال الاستعمار كتب في صحيفة « الأورور » عدة مقالات سافلة ، ذات صبغة عرقية صارخة تهدف الى منح المستعمرين الفرنسيين الحق في ملكية الجزائر زاعما أن الفوزو الفرنسي للجزائر لم يكن الا بداية « لحملة الاستعادة » تلك التي يعتبرها الاستعمار الفرنسي مشروعة تماما مثلما كانت حملة الاستعادة مشروعة ، تلك التي شنتها أسبانيا على العرب في اواخر العصور الوسطى ، وعلى الرغم من ان دعاية كهذه لم تكن تركز على أى أساس جدى ، او على حتى مجرد أساس شريف . فلا يمكن مع ذلك ان نمر بها مرورا عابرا ، فقد كانت (١) تجد في الواقع أرضا خصبة في الأكاذيب والأفكار والاهام الراسخة في عقول الشبيبة الفرنسيين منذ المدرسة الابتدائية عن طريق التعليم الرسمي ، فهذه العبارة النموذجية التي نقتطفها من مؤلف مدرسى عن الجغرافية للاستاذ « موريس كون رينيه » لتدل بوضوح على ما تسم به الاستعمارية الفرنسية عقول ونفوس أبناء فرنسا ، فيقول الكتاب :

« ان فرنسا حققت للسكان الوطنيين في مستعمراتها السلم والرخاء والتقدم والصحة والتعليم ، وهذه الرسالة التحضيرية التي أدت الى كسب صداقة وود السكان الاصليين هي اشرف وانبل جانب من جوانب سياسة فرنسا في المستعمرات » .

وهذه الأكاذيب والاهام تقود كثيرا من الفرنسيين الى التفكير عن حسن نية بأن الجزائر هي بالفعل مؤلفة من ثلاث مقاطعات مماثلة « للسين » و « الواز » و « النيوكلوز » وان جميع الجزائريين هم مواطنون فرنسيون تماما مثل الباريسيين أو

---

(١) ايميه سيزار

المرسيليين وأن رسالة فرنسا التمدينية قد أتاحت في الجزائر افادة الملايين من الناس بخبرات الثقافة والتكتيك والعلم الفرنسي وموزعة الرفاهية والسلام حيث لم يكن شيء منذ مائة وثلاثين عاما سوى البؤس والفوضى .

والحقيقة خلاف ذلك تماما ، ان الجزائر ليست فرنسا بل هي حقا بلد يستعمره ويستثمره ويضطهده المستعمرون الفرنسيون . لقد انحصرت رسالة فرنسا التمدينية بصورة جوهرية ، بمنح فرنسا هذا الطابع بوصفها بلدا مستقرا وابقاء هذا الطابع .

ان الدولة الفرنسية الاستعمارية بعد تحطيمها بالقوة الدولة الجزائرية الفتية ، ومع اعلانها بالتآني مبادئ الاهتزام - اهتزام فرنسا للجزائر أو مبادئ الدمج ، لم تنجح برغم ذلك في تقريب تكوين الجزائر من تكوين فرنسا ، بل على العكس فلقد اعطت الواقع القومى الجزائرى أصالة ، بوضعها سكانا من أصل اوروبى مقابل السكان الوطنيين من اصحاب البلاد الاصليين وبانشائها مجموعة هيكل سياسى معد لوضع الجزائريين المسلمين في مستوى دون مستوى المستوطنين غير المسلمين ، فمنذ عام ١٨٣٠ أدمجت الحركة الاستعمارية مع سكان الجزائر اقلية اوروبية « تصل الآن الى ١٠٪ » وكان ادماجا على أساس من العنصرية تغذيها اوضاع تشريعية وصحافة استعمارية ومن جهة اخرى ، فان جهود الدولة الاستعمارية « فرنسا » لتعميق جذور هذه المجموعة من السكان واحلالهم في اراض جديدة على حساب مالكيها القدماء ، ومحاولاتها لكي تجعل من هؤلاء السكان الاوروبيي الأصل كتلة متضامنة مع مستغلى القطر الجزائرى ومستثمريه « وقد أصبحت كذلك تماما » وتشجيع سيطرة هؤلاء على الاقتصاد الجزائرى « وقد سيطروا » ومحاولاتها في الوقت نفسه « ولكن عبثا » القضاء على المقاومة الوطنية المتعاضمة ، هذا كله قد أفضى الى انشاء جماعة جزائرية ثابتة تعمل على محاربة هؤلاء المستعمرين واذبالهم وادواتهم في الجزائر نفسها وتعمل كذلك على أن تعيش في بلادها حياة وطنية خالصة لا تشوبها هذه الكتلة الاوروبية المستعمرة ، حياة وطنية مشيدة على استخدام ثرواتها في مصلحة شعبها وحده .

الجزائريون اليوم يكونون بالفعل على الأرض الجزائرية جماعة ثابتة وهم مرتبطون بمصالح عامة مشتركة وبالنضال ضد الإعداء أنفسهم من عسكريين ومستوطنين وهذه الوحدة تؤلف أساس القومية الجزائرية الفتية ، بجهود جميع أبنائها ، هذه القومية التي تحدد مفهوم الأمة العربية المتجهة اتجاهها جازما أكيدا ، وأن كان متفاوت السرعة نحو الوحدة العضوية العميقة الشاملة ، وذلك بالارتكاز على عناصر وحدة اللغة والأرض والتاريخ والثقافة .

وإن كانت فرنسا قد اعتمدت على هذه المراكز الفكرية في تثبيت استعمارها للجزائر ، فقد كانت في الوقت نفسه تعتمد على مراكز سلوكية أخرى تحاول بها كذلك خلق أقامة دائمة مريحة في الجزائر ، فلقد عاشت فرنسا في حلم يستحيل تحقيقه هو حلم الاندماج ، ولقد حاولت فرنسا تحقيق هذا الحلم عندما تضمنت مشروعات ( بلوم - فيوليت ) منح الجنسية الفرنسية لخبذة مختارة من سكان الجزائر الأصليين ولكن هذا الاندماج كان غير قابل للتحقيق من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ولن يكون من الممكن بأي حال من الأحوال للشعب الجزائري ذي الوعي القومي والرغبة الشديدة في الحرية التامة والاستقلال الحقيقي أن يقبل تلك الخديعة الاستعمارية المكشوفة التي تهدف إلى ربط الجزائر بفرنسا إلى الأبد . وإلى طمس الشخصية الجزائرية إلى الأبد وسحقها نهائيا ، فضلا عن أن المستوطنين الفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين الذين يسيطرون تماما على البلاد قد قضاوا تماما على تلك المحاولة الضعيفة فقد كانت فرنسا تؤمل أن يكون من شأن نظام عام ١٩٤٧ بهيئته المزدوجة ( النخبة الممتازة والعامة ) أن يمهد لتطور سلمى نحو حكم إدارى ذاتى في نطاق فرنسا على أن يكون توسيع نطاق الهيئته الأولى تدريجيا ، فيفسح ذلك رويدا رويدا للفئة الممتازة من المسلمين الأخذة في التزايد بأن تصبح الأغلبية ، ولكن هذا النظام الذي وافقت عليه الجمعية الوطنية الفرنسية لم يطبق على الإطلاق . وذلك أمام مقاومة العناصر الأوروبية التي كانت تتمتع بالسلطات السياسية الجزائرية وبوسائل الضغط الفعالة في فرنسا ، التي يضيرها حتى مجرد أن تتسع الكتلة الانتخابية

الاولى فتضم الى جوارها الجزائريين المسلمين فيقدو موقفها ضعيفا وتصور اقلية ضئيلة لا حول لها ولا قوة حتى في كتلتها الانتخابية الخاصة بها . أما الانتخابات الحرة التي نص عليها النظام فانها لم تغد الا في الكشف عن وجود علم رائع من الناحية الفنية الا وهو علم ( التزوير الانتخابي ) ( ١ ) .

والواقع ان المستوطنين الفرنسيين في الجزائر الذين تمسكوا ولازالوا يتمسكون ببقاء الاستعمار الفرنسي وادامته وجوده يستنكرون على الوطنيين كل مطالبة بحريتهم واستقلال بلادهم وهم بذلك يكونون أحد العوامل الهامة في تشكيل هذه الوضعية الشاذة في المستعمرات بل ويتسببون في الوقت نفسه باعتبارهم القوى الرجعية ذات الافكار الاستعمارية الجامدة ، يتسببون في انهيار فرنسا وقبر استعمارها في الجزائر وكل المستعمرات .

ونحن نعرف دور الاحتكارية واقطاب الصناعة والمال في مص دماء الشعوب المستعمرة والحيلولة بينها وبين التقدم والاستقلال . اما دور البورجوازية الصغيرة في الضغط على الحكومة الفرنسية والكفاح في سبيل الابقاء على الاستعمار واستمرار السيطرة الاجنبية على البلاد الجزائرية فدور مضاعف ، فصغار المستوطنين هم الذين يشغلون في المجال الاداري او الاقتصادي مراكز كثيرا ما تفوق المراكز التي يكون في وسعهم الحصول عليها في بلادهم الاصلية ، والوضع نفسه بالنسبة لصغار التجار والصناع الذين يرون في أهالي البلاد الاصليين الذين يقتحمون الحياة الاقتصادية منافسين مباشرين يهددون مستوى معيشتهم ومصالحهم المادية ، كذلك فالمستوطنون البيض في المستعمرات وكقاعدة عامة لا يستطيعون العيش في مستوى معيشي مرتفع اللهم الا اذا استطاعوا الحصول على الخدمات الشخصية من الاهالي الاصليين بأجور منخفضة ، وهكذا يجدون ان في اصدارهم الأوامر الى من هم دونهم عوامل سيكولوجية تعوضهم عن شعورهم بالنقص ، انها الحقيقة الواقعة ، ان الوطنيين الاحرار في الجزائر وفي غيرها من البلاد المستعمرة يكونون اكثر تعرضا لحقد البورجوازية

---

(١) أضواء على القضية الجزائرية : ابراهيم كبه

الصغيرة التي تكون في بلادها الأصلية من اتباع اليسار ولكنها تصبح من أكبر دعاة الرجعية عندما تتمكن بدورها من مباشرة السيطرة على باقي الناس (١) .

وهكذا فذلك هي المرتكزات الأساسية الفكرية التي أقامت عليها فرنسا الدعائم التقليدية الزائفة لربط الجزائر بفرنسا وما يدعم هذه المرتكزات الفكرية من مرتكزات سلوكية تباشرها فرنسا نفسها في صورتين مختلفتين الأولى : عسكرية تمثلها جيوش الاحتلال الفرنسية ، والثانية : مدنية تمثلها جموع المستوطنين الأوروبيين وفلولهم سواء كانوا من ( الاحتكاريين ) أو من ( الكولون ) ونقصد بالاحتكاريين البورجوازية الصناعية وبالكولون الاقطاع الزراعي الذين يكونون ما يشبه ( الحائط المدني ) الذي تحتوى به قوات فرنسا ضد هجمات الجزائريين .

ولكن هيهات فان المد الثوري قد جرف في سيرة الهادر تلك الاوهام الفرنسية والاكاذيب الفكرية وقذف بها بعيدا ليضم رفاتنا القبر وليحيلها الى مجرد تاريخ فكري يشهد الاجيال القادمة على مدى ما كانت تعانیه فرنسا خلال فترة تاريخية طويلة من جمود ذهني فاضح ومن سلوك استعماري مشين ، ومن تفكير عنصري وتخلف أخلاقي دولي خطير .

وأخيرا سارعت فرنسا بانقاذ شعبها وتاريخها وكل كيائها .

---

(١) أيميه سيزار

## الوجود القومي في الجزائر

ان التجربة الاستعمارية في الجزائر كانت تعتبر أصدق صورة لما يمكن أن يقوم به افطع نظام استعماري وهو الاستعمار الفرنسي ، فمن ناحية قد تعرضت الجزائر لجميع أشكال المساواة الاستعمارية التي تعرفها جيدا الشعوب الافريقية والاسيوية وكل الشعوب التي قاست من جرم الاستعمار واثمه ذلك أن قربها من التراب الفرنسي ووجود ما يقرب من مليون أوروبي فوق اديمها ، ومحاولات فرنسا طيلة أكثر من قرن ، لمحو شخصيتها بتطبيق سياسة الاستيعاب أو الفرنسة الاجتماعية كل هذا جعل من الجزائر العربية ( المستعمرة الثالثة ) فيها أجرى الاستعمار تجاربه واختبر أساليبه فبلغ بذلك الدرجة القصوى من استغلال الإنسان للإنسان ، واستعباد شعب كامل لفائدة اقلية أجنبية ، مما جعل الثورة الجزائرية البطلة تستمد مغزاها وقيمتها من هذا الوضع الاستعماري الخاص .

ومن ناحية أخرى بذل الاستعماريون أقصى جهودهم لتحطيم كل مامن شأنه أن يدعم الرابطة بين الجزائريين ، فقد حاولوا بوجه خاص وهم بصدد تطبيق سياستهم في الفرنسة والادماج حاولوا أن يخنقوا اللغة العربية بجميع الوسائل ، ولقد حاولوا باستمرار إيجاد الشقاق والانقسام بين مختلف عناصر السكان الاصليين فان كانوا قد أخفقوا في محاولاتهم التفرقة بين العرب والبربر فقد نجحوا في بعض مناورات خلق الفرقة والشقاق ، فهم مثلا قد منحوا اليهود الجزائريين الجنسية الفرنسية مع الحقوق التي يتمتع بها نفسها المواطنون الفرنسيون على حين بقي الجزائريون المسلمون لا يتمتعون بأى حق سياسي .

ولقد تم ذلك باصدار قانون ( كريمو ) في ٢ أكتوبر ١٨٧٠ والى هذه الغاية نفسها شهد أيضا جميع تدابير التمييز العنصري التي هي خاصة من خصائص النظام الاستعماري .

وهكذا ظلت الاستعمارية الفرنسية تدعى أن الجزائر جزء من فرنسا وأنه لا يوجد شيء اسمه القومية الجزائرية ، وإنما هي أمة فرنسية واحدة تمتد من ألمانيا الغربية حتى صحراء افريقية ، والاستعمار الفرنسى لم يكن يهتم كثيرا بالحقائق فلادعى لها إطلاقا ما دامت ليست فى صالحه ولا يهمله أن يعرف الكثيرون أنه يكذب فمصلحة الاحتكارات الفرنسية فوق الحقائق والحريات فليس غريبا إذن أن نجد أندستور الجزائرى قد صدر بهذه المادة .

البلاد الجزائرية قطعة من الارض الفرنسية وتتألف من ثلاث مقاطعات يتساوى سكانها فى الحقوق والواجبات وجنسياتهم فرنسية .

لقد كان هذا هو منطق الاستعمار الفرنسى ، ولكن أول ما يكشف عنه التحليل البقظ من حقائق واقعة تحدثت عن نفسها ومن انسانية قوية تخدم فى دحض حجج الاستعمار الفرنسى ما يقوله الاستاذ على الشلقانى فى كتابه الثورة الجزائرية من أن الأمة الجزائرية تكونت على مر العصور وقد تجمعت عناصر القومية الجزائرية ونمت وتألفت عبر التاريخ ، فالجزائر أمة تتوافر لها كل خصائص الأمة وتقوم وتتكامل شخصيتها على الدعائم القومية الخمس الواجب توافرها لتقوم صفة الأمة - فهي :

أولا : مجتمع من الناس تكون تاريخيا ويتميز بالثبات والاستمرار

ثانيا : مجتمع من الناس يتكلم لغة واحدة

رابعا : مجتمع من الناس يمثل وحدة اقتصادية .

خامسا : مجتمع من الناس يشترك فى العادات والتقاليد فتكون له ثقافة واحدة .

ويقول الاستاذ على الشلقانى :

« ولكن لما كان النظام القبلى قوى النفوذ حتى الفتح الفرنسى ظلت العلاقات القبلية هي السائدة بين الكثير من السكان وهى علاقات تغلب وشائج الدم والقرباة على علاقة الأرض بعكس

المفهوم الحديث ، ولما كان النظام الاقطاعي هو النظام الذي يطبع الجزائر ( الولاية العثمانية ) وهو نظام يضعف فيه الانتاج حيث يوجه الى استهلاك محلي أساسا وحيث تكون التجارة راكدة ووسائل المواصلات قليلة وصعبة : حدث ان تجزأت الجزائر اقتصاديا فلم يربط بينها سوق واحدة وتتبع هذه التجزئة الاقتصادية تجزئة سياسية أيضا فلم يتكون للجزائر تحت التبعية التركية مجتمع واحد يسود داخله تقسيم العمل الاجتماعي وظل الوعي الوطني لذلك متأخرا ضعيفا ، لا يكاد يتجاوز الوعي بالامة الاسلامية ، ويتأكد هذا القول بالنظر الى المقاومة الجزائرية للفرنسيين ، فهذه المقاومة يسيرها وعى عربي من جانب ووعى قبلى من جانب آخر ويربط بينهما الاسلام .

وينتهي الاستاذ على الشلقلاني في تحليله العلمي الرابع الى انه نتيجة لهذه الاسباب لم يتبع للجزائر ان تكون وحدة قومية كاملة التكوين عند الفتح الفرنسي ويقول : ان هذه ليست بالظاهرة الشاذة ، فسائر القوميات الاوروبية كالإيطالية او الألمانية لم تكن هي الاخرى قد استكملت نموها في مطلع القرن التاسع عشر .

وكان لوجود الامة الجزائرية الواقعي العضوي التاريخي ان فشلت سياسة الإدماج التي تجعل من الجزائر شعبا فرنسيا وكان ان أصبح لا الاستيطان الاوربي ولا الاستعمار الفرنسي قادرين على التحول سواء في الجزائر أم في سواها من البلدان دون نمو التناقضات التي تنتج عنها نتائج ذات طابع وطني تسهم في تحقيق الوحدة القومية .

فلقد كانت مقاومة الغزو الفرنسي اول عنصر حاسم من عناصر الوعي الوطني الجزائري والنضال الذي خاضه الامير عبد القادر خلال أربعة عشر عاما ضد الجيوش الفرنسية جامعا تحت سلطته قبيلة فقبيلة بلادا شاسعة الاطراف على أساس المصلحة المشتركة ، هذا النضال يشكل ولاشك عاملا مهما جدا في حركة الوعي هذه ، هذا ماحدث أيضا في جميع الانتفاضات التي برزت في حركة المقاومة الجزائرية المسلحة بعد أن استسلم الامير عبد القادر ، فتورة (١) قبيلة الزغاوشة بقيادة أبو زيان عام

---

(١) السياسة والحكم في افريقية : عبد الملك عودة

١٨٥٢ ، ثم ثورة الاغواط ثم ثورة قبائل اولاد سيدى الشيخ ثم ثورة قبائل الجرجرة التى انضمت اليها جمعت اكثر من ٢٠٠.٠٠٠ رجل تحت قيادة المقرانى ولكنها ثورات تقيم الدليل على مدى نمو الوعى القومى ويقظته .

وكانت هذه المقاومة تمثل النقيضة الاولى من متناقضات الرأسمالية فى ظل الاستثمار حيث كانت العامل الحاسم فى انضاج القومية الجزائرية التى عبرت عن تراثها فى وعى قسومى جزائرى ونضال وطنى شعبى ضد اضطهاد القومية الفرنسية الحاكمة .

ومن ناحية اخرى فان احلال النظام الرأسمالى محل النظام الاقطاعى القبلى القديم ، وما يتبع ذلك من تحطيم لكافة المفاهيم القبلية والاقليمية والطائفية والسلالية تلك المفاهيم التى تسيطر على اذهان السكان وتربطهم الى مكان فى المجتمع لا يتعدونه كل ذلك يفتح الطريق الى تركز سكانى كبير فى المدن والى نمو المبادلات التجارية والى تقدم فى طريق المواصلات واستخدام وسائل النقل الحديثة مما يعمل على توسيع مشاغل ملايين الناس ونظرتهم حتى اصبحت على النطاق الجزائرى العام (١) وكان ذلك سببا من اسباب يقظة الوعى القومى لدى الشعب الجزائرى تضمنته النقيضة الثانية .

ثم هناك سبب ثالث اسهم من دون شك فى يقظة الوعى الوطنى وهو ان فرنسا حين ادعت ان الجزائر جزء من فرنسا كان القدر يعد لها مفاجأة ساخرة لها بموجب كون الجزائر ارضا فرنسية ان اخذت بحظ من وسائل النشر والصحافة وسمح للصحف الحرة بالصدور ، وان كان هذا لفترات قصيرة وفى غفلة من ضمير فرنسا الاستعمارى .

ولكنها افادت على اية حال فى القاء الضوء على الحقائق وازاحة الاستار عن المؤامرات فضلا عن ان سماح فرنسا لمئات

---

(١) ايديه سيزار

الاولف من السفيلة الجزائريين بالنزوح الى فرنسا لكسب معيشتهم ومعيشتهم عائلاتهم ، وكان من نتيجة ان احتك هؤلاء بالطبقة العاملة الفرنسية والحركة النقابية والاحزاب الشعبية في فرنسا وكانوا قد تعلموا وفهموا وافادوا من تجربتهم واخذوا عنهم طرائق التنظيم العمالية والثورية . ففي فرنسا ولدت وسط هؤلاء السفيلة المهاجرين اهم الحركة الوطنية الجزائرية ( جمعية نجم شمال افريقية ) وكان ان اخذت الجزائر بنصيب من أنظمة السياسة والحكم الاوروبية وشاركت بقدر في النظم السياسية الحديثة . فافاد ذلك على الرغم من الاستعمار طبعا في ظهور طبقة المثقفين من اهل البلاد الاصليين وفئات من طبقات العمال الكادحين كراس مال بشرى يستغنى ويستثمره المستعمرون في مجتمع خلقه النظام الرأسمالي في الجزائر ، وهكذا كان لاجراء فرنسا الفضل في شحن نفوس الجزائريين بالحق ودفعهم للثأر انتقاما للوطن السليب والأرض المفتصة

وهكذا كان من نتيجة هذه المتناقضات - وما تولد عنها او تضمنته من اسباب وخصائص، العوامل القومية التي ابرزت للعالم اجمع الشخصية القومية القوية لشعبنا العربي في الجزائر بعد ان قضى الاستعمار الفرنسي اكثر من قرن من الزمن وهو يحاول يائسا ان يمحوها ويسدل عليها ستار النسيان .

ولكن (١) فرنسا ظلت تتمسك بأسطورة الجزائر الفرنسية وظلت تطبق في الجزائر سياستها في الاستيعاب الاندماجي وهي سياسة هدفها فرنسا اجماعية للافريقيين ليدوبوا في كيان فرنسا الاوروبية ، ويصبح مصيرهم هو مصير فرنسا الاوروبية ويعيشون هم والاجيال من بعدهم كما يعيش الفرنسيون في أوروبا وان اختلفت الالوان بينهم .

وعلى الرغم من الجوانب البغيضة لسياسة الاستيعاب الاستعمارية فانها تركت اثرا ظاهرا تجدر الإشارة اليه وهو عدم ظهور التفرقة العنصرية القائمة على اللون أو العنصر انما ظهرت تفرقة من نوع آخر تقوم على اساس الاستيعاب أو عدمه .

---

(١) السياسة والحكم في افريقية : دكتور عبد الملك عودة

وفشلت سياسة الإدماج في أن تجعل من شعب الجزائر شعبا فرنسيا وليس هذا بغريب فما كانت هذه السياسة في نتائجها الا حائلا يحول بين الجزائريين وبين الاندماج في فرنسا .

فاذا كان غرض الاستعمار الفرنسي من وراء تطبيق سياسته هذه هو تحطيم القومية الجزائرية والقضاء على خصائصها فاذا بهذه السياسة تؤدي الى التقيض حيث جاءت سياسة فرنسا الاقتصادية تفرض نظم الاقتصاد الرأسمالية والانتاج معاظم الجزائر لوحدة السوق فازيلت بذلك العوائق امام الوحدة القومية وتحولت الجزائر الى مجتمع اقتصادي واحد ترتبط اجزائه في الشرق والغرب والشمال والجنوب وتتشابك مصالحه وتتداخل ويسود داخله تقسيم العمل الاجتماعي . ومن ناحية اخرى عملت هذه السياسة على أن يكتسب الشعب انجزا ترى وعيا وطنيا واضحا ينمي لديه الشعور بالقومية فضلا على أن سياسة الإدماج اظهرت بوضوح كيف ان البناء الاقتصادي الجزائري يختلف اختلافا جوهريا عن النظام الفرنسي ، كيف أن الاول اقتصاد زراعي مستعمر والآخر اقتصاد صناعي استعماري . وانه ينجم بينهما لذلك تعارض أساسي في المصالح ثم ان سياسة الإدماج في تطبيقها كانت تقوم على أساس التفرقة والتمييز بين المسلم وغير المسلم، فهذا هو معيار التفرقة بين المواطنين والرعايا حيث استعمل الفرنسيون في تطبيقهم السياسة الفرنسية الاجماعية هذه سلاح الخضوع لقانون الاحوال الشخصية الفرنسي (١) . بجانب المستويات الثقافية واللغوية والنفسية الأخرى باعتبارها المعيار المميز للجزائر الذي يتمتع بصفة المواطنة وهو يخضع للقانون الفرنسي والجزائري الذي يخضع لقانونه الديني أو القبلي فيظل رعية ، وللأول كل الحقوق والامتيازات والثاني مجرد من كل الحقوق وكل الامتيازات . وفي ظل هذه السياسة حرم شعب الجزائر الأرض ثم حيل بينه وبين العمل المأجور ، وحتى حيل بينه وبين التعليم . وفي كلمات وجيزة

---

(١) عبد الملك عودة : السياسة والحكم في افريقية

حبل بينهم وبين الحياة الكريمة الالفة بالانسان . وكان من نتيجة هذه السياسة ان وجد الشعب ان كل ما في الجزائر ارضا وصناعة وتجارة وادارة وسياسة وتعلما تؤكد له انه يختلف كل الاختلاف عن الشعب الفرنسى وان لا علاقة بينه وبين الفرنسيين الا ان تكون علاقة المفلوب بالغالب .

اما فيما يتعلق بهذه الفئة الجزائرية المثقفة التى تشبعت بالثقافة الفرنسية وهى فئة تنتمى فى العادة الى البورجوازية الجزائرية المسلمة التى شاركت بقدر فى ملكية الارض وفى وظائف الادارة وفى التمثيل فى مجالس البلديات والوفود المالية ومن ثم ارتبطت مصالحها الاقتصادية بالنظام الاستعماري فاتجهت (١) اول الامر الى المطالبة بالمساواة مع الفرنسيين ، فالمساواة تحقق لهذه الطبقة البورجوازية كل ما تصبو اليه من مطالب وكان هذا الاتجاه اتجاها محطما لحركة الوعي الوطنى بدفع بشعب الجزائر الى أحضان القومية الفرنسية وتحقيق حلم فرنسا فى ادماج الجزائر ، ولكنها « اى طبقة البورجوازية الجزائرية » وقد كانت لا تشعر بالاستقلال الاقتصادى كما يشعر به عامة الشعب كانت مصالحها الاقتصادية هى ايضا مضمومة بقدر ونظام الادارة الفرنسى المطلق السلطات وما يتبعه من نظام الاهالى كان يمنعها من ان تشارك كما يجب فى ادارة البلاد ويفضل عليها الكولون والمستوطنون فى كثير من المسائل ، كالفروض والرى والصرف والمواصلات (٢) وتصريف المحصولات ، وتنسى فئة البورجوازية هذه وهى فى تيار اندفاعها لتحقيق مصالحها طبقة الكولون وتنسى سيطرتها على الادارة الفرنسية فى الجزائر وتداخلها مع الاحتكارات الفرنسية .

وهكذا تفشل كل محاولات الاندماج فى الجزائر وتظل المساواة حاملا بعيد التحقيق ويخبو الأمل شيئا فشيئا لدى كبار الملاك المسلمين ويصيب اليأس فئة المثقفين ويلتفت أولئك وهؤلاء الى

---

(١) ثورة الجزائر : على الشلقاني

(٢) ثورة الجزائر : على الشلقاني

الشعب الجزائري فاذا به حقيقة تاريخية موجودة بالفعل فيعترفون به كشعب متميز عن الشعب الفرنسي ويحاولون ان يستعبدوا به في معركتهم ضد الاستعمار والكولون .

وبهذا يفسر الافلاس التام للسياسة التي سماها المستعمرون الفرنسيون سياسة الاهتضام والتي قرر انتهاجها ابتداء من عام ١٨٦٠ المشرعون الفرنسيون والتي افضت الى النتيجة التالية منذ عام ١٨٦٥ حتى عام ١٩٣٤ تجنس اقل من ٢٥٠٠٠ الف مسلم جزائري بالجنسية الفرنسية وهذا يؤلف المعدل المضحك وهو ٣٦٠ شخصا في العام .

وهكذا ينتهي الامر بالاستعمار على رغبة وسخطه الى ان تكون سياسته هي العامل الحاسم في تكامل القومية الجزائرية ويقظة الوعي القومي ، وهكذا ادت سياسة الاضطهاد القومي الى عكس ما قصدت اليه ، فاذا بها تبرز السمات وتحدد القسمات للقومية الجزائرية المتكاملة الخصائص والمميزات فتظهر القومية الجزائرية كجزء من حركة التحرر القومية العربية الشاملة فيشعر الشعب العربي في الجزائر شعورا قويا جارفا بأنه أمة متميزة كل التميز عن الامة الفرنسية ، وان له لذلك الحق كل الحق في الاستقلال عن فرنسا ، ويشد هذا الشعور ويقوى كلما طال امد الاحتلال .

فهذه الارادة الجماعية الشاملة للجماهير العربية والبربرية بان تبقى جزائرية هي اول وجه حاسم من وجه تكون الامة الجزائرية في النطاق العام للقومية العربية (١) .

وهكذا تقف الحجج الفرنسية الاستعمارية التي تبني القضاء على الشخصية الجزائرية والقومية العربية في الجزائر وتهدف الى القضاء على حرية الشعب الجزائري الى الابد والحكم عليه بالفناء والارتباط مع فرنسا . تنف هذه الحجج ضعيفة هزيلة لا تقوى على مواجهة الحقائق .

---

(١) احمد توفيق المدني

## الحركة الوطنية الجزائرية في مرحلتها المسلحة

ان الحركة الوطنية في الجزائر كان اساسها ان تحطم الكثير من القيود وان تتغلب على الكثير من العقبات وتطورت لذلك خلال مراحل مختلفة يمكن أن نحدد قسماتها كالاتى :

١ - ففي المرحلة الاولى كان على الحركة الوطنية ان تكسب معركة القومية الجزائرية وان تصل الى ان الامة الجزائرية حقيقة تاريخية قائمة الى اليوم . وله يقض عليها الاستعمار وان لها لذلك حقا ثابتا فى تقرير المصير .

٢ - وفي مرحلة ثانية كان على الحركة الوطنية ان تحدد نوع هذا المصير اهو الحكم الذاتى ام الاتحاد مع فرنسا ام الاستقلال التام ، ثم كان عليها ان تحدد اشكل الكفاح واختار الشعب طريق الثورة .

وكان أن مرت الحركة الوطنية الجزائرية فى مظاهرها المختلفة من نشأة التيارات السياسية المختلفة والجمعيات ثم فى ظهور الاحزاب الوطنية المختلفة والجمعيات المختلفة . فادت المناهج المحدودة والمفاهيم المختلفة الى اصطراع هذه الاحزاب بعضها مع بعض . وبتوالى هذه المظاهر وعالى نضوء هذا الصراع تحددت معالم وقسمات التاريخ الذى مرت به الحركة الوطنية في الجزائر والمراحل الزمنية التى سارت فيها .

٣ - وقامت الثورة فى الجزائر المسلحة فكانت مرحلة ثالثة كان على الحركة الوطنية فيها ان تكافح فى جبهتين : جبهة خارجية هى هذه الحرب الدائرة ضد الاستعمار ، وجبهة داخلية هى السهر لاستكمال اسباب الوحدة الوطنية وتحديد برنامج الثورة الاجتماعى والاقتصادى وكلاهما حاسم الاثر فى نجاح الثورة او فشلها .

والثورة كما يحددها المفهوم العلمى هى مجموعة العمليات

المختلفة التي يكون من شأنها أحداث تغيرات هائلة في نظم المجتمع الأمر الذي يدفعه للتطور من مرحلة نمو معينة الى مرحلة أخرى، هذه الثورة ليست مسألة تأتي عفوا وليست صدفة تحدث أولا تحدث تتم أولا تتم ، ولكن الثورة تعني انها حاصلة ظروف كثيرة تتجمع وتتطور حتى اذا ما نضجت كانت الثورة ، ومن هذه الظروف ما هو موضوعي يتصل بالواقع الاقتصادي وازماته والواقع السياسي وتطوراته ، ومن هنا كان توقيت الثورة وساعة الصفر المناسبة لها من أهم عوامل نجاحها، فالتوقيت يعني تحديد الوقت المناسب الذي يبلغ الغضب بالشعب مداه ، والذي يقدم فيه الشعب على التضحية بكل شيء كي لا تستمر الأوضاع القائمة وهذا هو الشرط الموضوعي الأول للثورة ، أما الشرط الثاني والذي بعينه كذلك توقيت الثورة هو تلك الفترة الزمنية التي يعجز فيها الاستعمار الحاكم عن مواجهة الموقف ومن التمثي مع الظروف المتغيرة اي عندما تمر الطبقة (1) الحاكمة بأزمة عامة تؤدي بها الى التردد والعجز عن إيجاد حل للمشاكل التي تواجهها حيث يترتب على هذا التردد او العجز ان يقف الحاكم وهو هنا يمثّل في الاستعمار جامدا عنيدا غيبا لا يستطيع ان يتقدم ولا أن يتأخر حتى آتئى سبل الثورة فيجرفه أمامه .

والشرط الذي يترتب على هذين الشرطين الموضوعيين هو ان يأخذ الشعب في ممارسة نشاط سياسي جماهيري مدفوعا بظروف الازمة .

وقد توافرت هذه الشروط الموضوعية بأكملها لثورة الجزائرية وسمحت لها بالتالي بان تقوم ويلاحظ ان الشعب الجزائري في مجموعه حتى بعض زعاماته اليمينية المستسلمة قد اقتنع ومن خلال خبرة ذاتية اكتسبها بالتجربة السياسية ان التقدم مستحيل في ظل الظلم القائم ، وان الثورة والاحتكام الى السيف هو الطريق الاوحد لتخليص الجزائر من مأساة الاستعمار والسيطرة الاجنبية وكيف ان فرنسا التي جاهدت طيلة قرن من الزمان في طمس القومية الجزائرية هي فرنسا نفسها التي

---

(1) على الشلقاني ثورة الجزائر

دفعت بالمتناقضات الرأسمالية في ظل الاستعمار التعس الى ان تتفاعل وتتصارع فتخرج الجزائر رافعة لواء النصر في معركة حددت حتمية التاريخ فيها النجاح والظفر .

ويلاحظ انه في اعقاب الحرب العالمية الثانية حدثت تغيرات في قوة النظام الاستعماري وفي مراكز القوى داخل هذا النظام ، الامر الذي ترتب عليه ضعف الاستعمار الفرنسي كثيرا عن ذي قبل . وكان ان سيطرت أمريكا على سائر الدول الاستعمارية وفرضت عليها سياسة التزمت بها سائر دول المعسكر الغربي تحددتها اساسا مخططات الولايات المتحدة في الحرب الباردة ، ولكن الجيش الفرنسي ومن ورائه عملاء الاستعمار في فرنسا واقطاب الاحتكار فيها ، هذا الجيش وقد تحطم في الخارج واصابه العار في الداخل ليس في حالة تجعله يقبل هزيمة أخرى، وهو يعتقد ان الانسحاب من الجزائر ( آخر معركة يخوضها )، سيكون الكارثة الأخيرة . لذلك يمثل العسكريون والجنرالات الفرنسيون في الجزائر مع كبار الرأسماليين الصناعيين وقوى الاقطاع الزراعي ( الكولون ) - يمثلون الثالث البقيض الذي يتمسك بالجزائر ويتعلق بأحلام الامبراطورية . لان سندا قويا جديدا اصبح يدفعهم ويشجعهم على الاحتفاظ بها وهو امريكا .

ولكن هذا الثالث لا يعرف ان تمسكه بالجزائر انما يعنى ، في الوقت نفسه تمسكه بضرورة تحطيم فرنسا ، اما الولايات المتحدة ، وهو مالا يعلمه هذا الثالث البقيض فانها تعد فرنسا وامبراطوريتها قاعدة رئيسية للحرب الباردة في أوروبا ، وكانت أمريكا تريد من الاخطبوط الفرنسي ايضا ان يقوم لها بما يسمى ( الاعمال القذرة ) وهي القضاء على الحركات الوطنية في المستعمرات حتى اذا ماورثت أمريكا الامبراطورية الفرنسية وهو ماتامله الولايات المتحدة عميدة الاستعمار الجديد ، يوما ما ورثته نظيفة من أسباب المتاعب والشغب .

وعلى هذا تشعر الحركة الوطنية بعجز الاستعمار وبانقسامه كما تستجمع الثقة في قدرتها على الاطاحة بهذا الاستعمار فتتوافر بذلك جميع العوامل من موضوعية وذاتية ، تلك العوامل القوية التي حفزت الشعب الجزائري البطل على خوض معركة الاستقلال

والثورة منذ الاول من نوفمبر عام ١٩٥٤ بقيادة جبهة التحرير الوطني .

والثورة الجزائرية الكبرى : ١- ثورة وطنية من النوع الجديد ليست من قبيل الثورات البدائية التي عرفها الشرق العربي في فترة ما بين الحربين العالميتين . لقد كانت ثورة عامة شاملة تضم كل طبقات الشعب . وكانت ثورة عامة شاملة تضم كل طبقات الشعب ، وكانت ثورة ضد الاستعمار الاجنبي المباشر وضد الحكم الاجنبي المبرقع ببرقع الاستقلال المزيف على السواء ، واخيرا انها ثورة مدركة واعية لها نظرية وطنية صحيحة ، خلاصتها ان السبيل الوحيد لذلك الاستعمار الفرنسي وكل استعمار آخر يحاول ملء الفراغ المنتظر بعد زوال الاستعمار الفرنسي المذكور - هو وحدة الحركة الوطنية وشعبية قواعدها الاساسية .

ولقد اعلنت برنامجها السياسي من اللحظة الاولى : ولم تترك مجالا للمساومة والمصالحة وصدر المنشور الاول باعلان الثورة يحدد لنا هذا المنهاج ، ومن هذا المنشور نتيين الآتي :

### هدف الثورة :

- اقامة حكومة جزائرية ذات سيادة ديمقراطية واجتماعية داخل اطار المبادئ الاسلامية .
- احترام جميع الحريات الاساسية دون تمييز بين الاجناس والمعتقدات .

### الاهداف الداخلية :

- اجراء عمليات تطهير سياسية وذلك باعادة الحركة الوطنية الثورة الى طريقها الحقيقي ومحو بقايا الفساد الذي تسبب في تدهورنا الحالي .
- تعبئة وتنظيم جميع القوى الصالحة في الشعب الجزائري للقضاء على النظام الاستعماري .

---

(١) أعضاء على القضية الجزائرية : ابراهيم كبة

## الاهداف الخارجية :

- تدوين القضية الجزائرية .
- تحقيق وحدة شمالي افريقية في اطارها الطبيعي وهو العروبة والاسلام .
- تأكيد محبتنا الفعالة في اطار ميثاق الامم المتحدة لجميع الامم التي تؤيد حركتنا التحررية .
- وحددت الثورة أيضا أساليب كفاحها فقالت تحت عنوان:

### أساليب الكفاح :

- ١ - استمرار الكفاح بكل الوسائل الى ان تتحقق أهدافنا طبقا للمبادئ الثورية ومراعاة الظروف الداخلية والخارجية ، ولكي نتوصل الى هذه الأهداف سيكون لجهة التحرير الوطني مهمتان أساسيتان في وقت واحد - أولاها :
- عمل داخلي في الميدان السبسي وفي ميدان العمل والكفاح .
- والاخرى :

في الميدان الخارجي حتى تصبح المشكلة الجزائرية حقيقة في نظر العالم كله بمساعدة جميع حلفائنا الطبيعيين .

وهذه المهمة المزدوجة مهمة ثقيلة الوطأة مرهقة تتطلب تجنيد جميع الطاقات وجميع الموارد الوطنية وصحيح أن المعركة ستكون طويلة الأمد ولكن انتصاراتنا لا شك فيها .

وحددت الثورة أيضا شروطا لتفاوض او التفاهم مع فرنسا فقالت تحت عنوان ( مطالبنا الحد الأدنى ) لكي تتجنب جميع التنازلات الخاطئة والمقرضة . ولكي نتجنب ازهاق الارواح وازالة الدماء فاننا تقدم أسسا شريفة لمفاوضات مع السلطات الفرنسية اذا كانت لهذه السلطات استعدادات طيبة للاعتراف أخيرا للشعب التي تتحكم فيها بحقوقها في تقرير مصيرها وهذه الأسس هي :

- ١ - الاعتراف بالقومية الجزائرية في تصريح رسمي ينسخ

جميع القوانين التي صيرت الجزائر ارضا فرنسية بالرغم من التاريخ والجغرافيا واللغة والدين وأخلاق الشعب الجزائري .

٢ - فتح المفاوضات مع الذين هم حق التحدث باسم الشعب الجزائري على قاعدة الاعتراف بالسيادة الجزائرية الموحدة التي لا تتجزأ .

٣ - ايجاد جو من الثقة وذلك باطلاق سراح المسجونين السياسيين ورفع جميع الاجراءات الاستثنائية والتوقف عن تبسم قوات المقاومة .

وفي مقابل هذا تتعهد الثورة بما يلي :

١ - ان المصالح الفرنسية الثقافية والاقتصادية التي حصلوا عليها بطريقة شريفة مضمونة وكذلك الاشخاص والعائلات .

٢ - جميع الفرنسيين الراغبين في البقاء بالجزائر يكون لهم الخيار بين جنسيتهم الاصلية وفي هذه الحالة يعبرون اجانب بالنسبة للقوانين المعمول بها وبين الجنسية الجزائرية . وفي هذه الحالة يكونون معتبرين جزائريين لهم ما للجزائريين من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات .

٣ العلاقات بين فرنسا والجزائر يقع تحديدها وتكون موضوع مفاوضات بين الدولتين على قدم المساواة والاحترام المتبادل .

هذا ما تضمنته المنشور الاول لجهة التحرير الوطني الجزائري ، ومنذ قيام الثورة كانت تصريحات الزعماء الوطنيين في الجزائر وممثلي القيادة العامة لجهة التحرير الوطني ووزراء الحكومة الجزائرية المؤقتة تؤكد ونجسم بشكل رائع « مهاج » الثورة الجزائرية الكبرى ومنها تصريح لممثل القيادة العامة لجهة التحرير الوطني نقطنف منه العبارة الآتية :

« ان الدولة الجزائرية لن تستند الى العنصرية او كرايمية الاجانب او الشعب ، كما انها لن تكون ملكية او توتوقراطية بل جمهورية بكل معاني الكلمة » .

والثورة الجزائرية التي قامت في نوفمبر عام ١٩٥٤ تلك الثورة التي أذهلت فرنسا والتي أربكتها وسببت لها من الجزع والذعر أكثر مما سببته لها أية ثورة أخرى أو حرب أخرى ، هذه الثورة كانت تعد مشكلة فرنسا الأولى التي تسببت في الاطاحة بكثير من الوزارات الفرنسية وزعزعت دعائم الحكم في فرنسا ، فقد تعاقبت على الحكم في هذه الفترة الزمنية القصيرة منذ قيامها حتى وقف إطلاق النار ، حكومتا مندريس فرانس ثم ادجار فور ، ثم جاءت الانتخابات العامة لتعيين ممثلي الشعب في الجمعية الوطنية الفرنسية ، وجرى بالحزب الاشتراكي إلى الحكم واستطاع جى موليه على اثر ذلك تشكيل الحكومة الفرنسية بالاتفاق مع الحزب الراديكالي وبدأ عهد جى موليه - اليد القذرة التي حملت وزر أشنع الجرائم في تاريخ الحرب الجزائرية فلم يوقف انحراب ، وخان وعوده وتنكر لها ، فزاد الثورة اشتعالا وقد استمرت وزارة موليه في الحكم وكما يصور الكاتب الفرنسي « بيير كورتاد » في مقال له في مجلة الشؤون العالمية عام ١٩٥٧ بقول :

استمر موليه في الحكم أكثر من عام ليتابع حتى النهاية سياسة خدمة البورجوازية الكبيرة والاستعماريين الفرنسيين ولم تتمكن وزارته من البقاء الا بخياناتها للبرنامج الانتخابي الذي ارتبط به موليه أمام الناخبين في يناير ١٩٥٦ واضطر موليه لكي يستمر أن يجد حلا للأفلاس الذي أصاب الخزنة الفرنسية في ذلك الوقت بسبب الثورة الجزائرية فعرض على الجمعية الوطنية الفرنسية مشروعاً بفرض ضرائب جديدة ، وكانت هذه هي العاصفة التي اجتاحت في طريقها جى موليه ووزارته فقد قوبل المشروع بمعارضة شديدة ، وجاء بورجيس مونرى وقرر مونرى أن يسير في الطريق القذر فاطاحت به الثورة الجزائرية وتولى جابر الحكم ، وكان عهد جابر أشد عهود الاستعمار الفرنسي في الجزائر بشاعة واجراما وتدميرا ، بل وأكثر من ذلك فقد سمح جابر بانباء في تنفيذ خطة غزو تونس الجنوبية التي طامها راودت أذهان القواد العسكريين وغلاة المستوطنين الفرنسيين في الجزائر فوق وقع الهجوم الفرنسي المعروف على قرية ساقبة سيدى يوسف القريبة من حدود الجزائر وانفجر الموقف

ضد فرنسا ، واستمر حتى بلغ أقصاه برسالة ايزنهاور التي بعث بها الى جبار في ابريل ١٩٥٨ حيث طالبه فيها بوضع حد عاجل للحرب الجزائرية وعلاج المشكلة بطريقة سياسية ترضى تونس والمغرب بالذات لضمان استمرار تعاون هذه المنطقة العربية بالذات مع الغرب ولابعادها عن منطقة الحياد الايجابي والقومية العربية ، وكانت هذه الرسالة هي آخر مسمار يدق في نعش جبار حيث شعر الاحتكاريون الفرنسيون والمستوطنون في الجزائر شعورا بان التيار قد أصبح اقوى من جبار بتدخل الولايات المتحدة ، ولذلك اسقطوا جبار .

ولما ادرك المستوطنون ان استمرار الامور على هذه الحالة سيؤدي في النهاية الى كارثة محققة بالنسبة لهم : لذلك صنعوا انقلاب ١٣ مايو للاطاحة بالجمهورية الرابعة ونظامها الديمقراطي وجاءوا بديجول اعتقادا بانه الوحيد القادر على ان يمسك البلد بيد من حديد ويمضي في طريق الحرب حتى النهاية لحساب المستوطنين واصحاب المصلحة في استمرار الحرب . وقد نه لهم ما ارادوا .

هذا عرض سريع لتطور الأحداث في فرنسا وازمة الحكم الفرنسي ، وتأثير الثورة الجزائرية وقوتها وجبروتها في السير في طريق الظفر والانتصار وهو الطريق الوحيد امام الشعب الجزائري . تلك الثورة التي اطاحت بالجمهورية الرابعة ، وكانت ستطيح بالجمهورية الخامسة من بعدها .

بهذه التطورات جاء ديجول وكانت مهمته يوم تولى الحكم ان يقضي على الثورة الجزائرية بآية وسيلة سواء بالمحاولات السياسية الخادعة او بالحرب . وقد اختار ديجول الطريقتين معا .

وظلت الحرب تحمل الطابع نفسه الذي رسمه لها لاكوست وماسو - حرب الإبادة .

ومنذ ان صعد ديجول الى الحكم في فرنسا بدأ القواد العسكريون يقومون بعمليات عسكرية مركزة ضد جيش التحرير بالذات بقصد ضربه في معاقله والقضاء عليه .

وكانت هذه الخطة العسكرية تستهدف مهاجمة الثوار في المناطق التي يتركزون فيها وهي مناطق وهران والإوراس وشمال فسنطينة والوشراسي والقبائل . وكانت أول وأهم هذه العمليات بلاد القبائل التي قادها الجنرال مور بمعاونة سبعة عشر جنرالا آخرين .

ولكن هذه العمليات فشلت فشلا ذريعا وانتهت بتمجيبة الجنرال (مور) وتعيين الجنرال ماسو بدلا منه ، وسار بدوره في طريق الفشل ولم تنته الثورة في بلاد القبائل .

وفي الجهات الأخرى وفي المناطق المتحصنة حيث تولى الجنرال (جبل) وجنرال (شال) قيادة العمليات في جنوب وهران في جهات تلمسان وسيدى بلعباس الخ . واجه القادة الفرنسيون المصير نفسه والفشل نفسه .

ورأى ديغول أن يغير قادة الجيش لعل هذا يكون عاملا مساعدا على خلق روح جديدة تنقذه من الفشل ، وفعلوا عزل (سالان) من القيادة العامة للجيش الفرنسي وعين بدلا منه الجنرال (شال) .

وجاء الجنرال شال بإفكار عريضة عن نهاية الثورة الجزائرية على يديه وبدأ الجنرال شال في تنفيذ أحلامه ابتداء من ٤ فبراير عام ١٩٥٩ .

وكان برنامج شال يعتمد على أسس حرب العصابات التي تعتمد عليها الثورة ذاتها كما أوضح ذلك لمراسل مجلة ليموند الفرنسية . ولكن أحبطت خطط الجنرال شال في ضابط ككل خطط سابقه كعمليات الهجوم الفاشلة في عهد سالان ومن قبله لاکوستا .

وأوضح « الان جاكوب » مراسل صحيفة الموند في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ من مايو ١٩٥٩ في تحقيق صحفي من واقع المناطق التي نفذ فيها فعلا برنامج شال هذا جاء فيه :

« أن فرق الكوماندوس الفرنسية المدربة تدريباً كاملاً والمعينة لمطاردة جيش التحرير عاجزة عن أن تلاحق الثوار ،

فجنود المظلات الذين هم اخف الجنود حركة يترجمه ساعة ونصف ساعة لصعود مرتفع طوله منه متر أما الثوار فيهم يقطعون ذلك في ظروف نصف ساعة ٢ .

ومن ثم كانت نتائج هذا الأسلوب مخيبة تماما لآمال جنرالات فرنسا الواهين .

وظل جيش التحرير دائما هو المسك بزامم الموقف يواجه القوات الفرنسية عندما يريد ويختفى عن طرفه عندما يشاء .

واضطر (١) الجنرال شال أن يجمع ثوانه اللاب على جبال وهران ، والونشريس ويعود ليفكر ماذا يفعل بعد هذا الفصل المخزي .

### الهجوم الشامل :

عقد ديجول بعد ذلك مؤتمرا عسكريا مع قواده العسكريين في باريس في صيف عام ١٩٥٩ وذلك لمناقشة الموقف العسكري والسياسي في فرنسا والجزائر وكان أن تفتت عقيدة ديجول المريضة عن خطة الهجوم الشامل أو عملية جوميل فطالب قواده بعمل حاسم : تتخطى على الرد الثورة وتصفى جهات القتال نهائيا لكي تواجه فرنسا الأمم المتحدة والرأي العام الدولي بهذه النتيجة ، فلا توجد حرب أو مشكلات .

وقد كان هذا الهجوم العام آخر محاولة كبرى للجيش الفرنسي . فقد جاء في نشرة مكتب الاستعلامات لتتريف الأوسط الفرنسية في ٥٩/٨/٨ ما يلي (٢) :

« ان الفصل معناه أن الحكومة الفرنسية ستكون مضطرة للاعتراف بأن حل المسألة الجزائرية لن يكون بالقوة . وأن على فرنسا أن تفكر جليا في تغيير سياستها والاعتراف بالحقيقة والتفاوض مع جبهة التحرير الجزائرية التي هي المحلل الحقيقي للجزائر » .

---

(١) السيد الشوربجي : سقوط ديجول

(٢) سقوط ديجول

وبدا تنفيذ الخطة في منطقة جبال القبائل معقل الثورة الحصين وتقوم على أساس الحصار التام للمنطقة حيث استخدمت القيادة الفرنسية في تنفيذها هذه العملية حسب اعترافها خمسة وسبعين ألف جندي ، وتولى قيادة العملية الجنرال شال بمساعدة ثلاثة آخرين من القواد الفرنسيين .

ولكن ما أن تم حصار المنطقة حصارا كاملا بواسطة جنود المظلات في أعلى جبل « اكغادو » وجنود البحرية على الشاطئ الصخري الموجود في رأس « سيقلى » غرب بجاية وجنود المدفعية على رؤوس الصخور الجبلية والدبابات والسيارات المصفحة على الطرقات الكبرى ، ما أن تم هذا حتى كانت قوات جيش التحرير قد تشكلت حسب الوضع الجديد واستعدت لافشال هذه الخطة كسابقاتها فقد تجزأت قوات جيش التحرير الى فرق صغيرة قليلة العدد وتجنببت المعارك المكشوفة وقامت القوات المتخصصة في عمليات التخریب بدورها في تخریب المواصلات ووضع الغام في طريق السيارات العسكرية ، ونصب الكمائن في طريق القوافل العسكرية ، وكان ان عجزت القوات الفرنسية عن العثور على مكامن جيش التحرير لتلقاه مواجهة في معارك مكشوفة وكان جيش التحرير في هذه الاثناء هو سيد الموقف وكانت خسائر القوات الفرنسية فادحة ، واعترف الجنرال شال بالهزيمة فصرح في يوم ١٩٥٩/٨/٤ بقوله (١) :

« الواقع ان عملية جوميل عملية صعبة شاقة لكننا نعرف هذا من البداية فالعدو يذوب بكيفية عجيبة كالزئبق » .

وتقرر ايقاف عملية جوميل الخائبة ، وبذلك اسدل الستار على اكبر هزيمة منيت بها فرنسا منذ بداية الحرب الجزائرية ، وبقيت الحقيقة الكبرى حقيقة الشعب الجزائري الذي وقف يتحدى كل الذين باعوا شرقيهم وضمايرهم لكي ينتصروا عليه في حرب قدرة لا قيمة لها في ميدان الحق والعدل .

(١) سقوط ديجول

## الثورة تباشر الحكم

وهكذا سارت الثورة الجزائرية العملاقة من نصر الى نصر ، فقد انقضت اعوام سبعة منذ أن رفع الشعب الجزائري سلاحه محارب الاستعمار في بلاده ، مناضلا من أجل الاستقلال والسلام لأرضه الطيبة ، أعوام ، سبعة امتلات بالمعارك البطولية وبالنضال الدامي العنيف الذي استطاع الشعب الجزائري من خلاله أن يخلص جزءا هاما من أرضه من السيطرة الفرنسية .

بل وأكثر من ذلك استطاعت جبهة التحرير أن تباشر الحكم بجميع مظاهره من جباية للضرائب وتنظيم للقضاء وتعليم للسكان وتسكين جديد للإدارة في هذه المناطق التي نجحت الثورة في تطهيرها من فلول المستعمرين . وقد اهتمت الثورة أيضا اهتماما بمشكلة الأرض التي تعتبر المشكلة الأولى في الجزائر . فلا يعقل أن يحمل الفلاحون السلاح لطرد الاستعمار ثم لا يجنون ثمار الحرية بالقضاء على الاقطاع . الذي كان يستند الى هذا الاستعمار واسترداد الأرض التي يبذلون دماءهم من أجل تحريرها فكان أن اتخذت الثورة موقفا صريحا من مشكلة الأرض ، فقد كانت تقوم في كل منطقة تسيطر عليها بمصادرة أملاك كبار الملاك . لا تفرق في ذلك بين أوروبي ومسلم ، ثم تقوم بتوزيعها على الفلاحين توزيعا مؤقتا الى حين انتصار الثورة . فضلا على أنها تقوم بامداد الفلاحين بما يلزمها من الماشية والادوات التي صادرتها من كبار الملاك ، وكانت جبهة التحرير تتفق مع الفلاحين مقابل ذلك على أن تحصل على قيمة نصف المحصول . وقد ثبت نجاح هذا النظام نجاحا عظيما ، فقد تحقق للثورة غرضان في آن واحد .

فهي تربط الفلاحين بالحركة الوطنية رباطا لا انقطاع له ، وتضمن لجيش التحرير ما يحتاج اليه من مؤنة وغذاء ..

أما في القطاع الصناعي فقد كان للثورة حباله موقف صريح واضح هو موقف التأمين وملكية الدولة لادوات الإنتاج الرأسمالي ، فالاستعمار الفرنسي يسيطر اليوم على الصناعة في الجزائر سيطرة تامة . ويتقضى الكفاح لتحقيق الاستقلال السياسي للجزائر أن يتحقق كذلك للمجتمع الجزائري استقلاله الاقتصادي والاجتماعي والا فثل الاستقلال السياسي كلمة جوفاء لا مضمون لها .

ومن هنا نتبين أن الثورة الجزائرية كانت ثورة متكاملة الجوانب متكاملة الأهداف ، فإلى جانب أنها ثورة سياسية تعتمد إلى تحقيق أهدافها الثورية في نيل الحرية والاستقلال عن طريق الوسائل العسكرية ، فهي في الوقت نفسه ثورة اجتماعية تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والمجتمع الاشتراكي السليم .

وكان أن تعهدت جبهة التحرير الوطني في بعض قراراتها التي اتخذت في المؤتمر المنعقد في الجزائر بتاريخ ٢٠ أغسطس عام ١٩٥٦ بتطبيق إصلاح زراعي شامل يمكن الفلاح الجزائري من الانتفاع بثمرات مجهوداته التي يبذلها في خدمة أراضيه .

أما عمال المدن والأرياف المساهمون عمليا في تطور الثورة فيجب أن يكون لهم الدور الهام في تنظيم البلاد الجزائرية في الغد .

وهكذا استمرت الحرب واستمرت العمليات العسكرية ، ولكن الشعب الجزائري المؤمن بحقة وبعادلة قضيته ظل يواصل كفاحه التحريري بكل بسالة وشجاعة إلى النهاية .

## ديجول والجمهورية الخامسة

انقلاب ١٣ مايو :

في ١٣ مايو عام ١٩٥٨ وقع انقلاب عسكري في الجزائر ضد حكومة باريس قاده الجنرال « ماسو » قلد جنود المفلات الفرنسي في الجزائر وصانع معسكرات التعذيب الدامية وحملات الإبادة والذبح الجماعي للمدنيين العزل (١) .

وأعلن قائد الانقلاب أن هدفه الوحيد هو أن ننسكل في باريس حكومة فرنسية برئاسة الجنرال نسرل ديجول لأنه الرجل الوحيد الذي يستطيع منع ضياع الجزائر ووقوع كارثة « ديان بيان فو » مرة أخرى .

وأعلن الجنرال ماسو أن عدم عودة ديجول ليتولى الحكم سيضطر الجيش الفرنسي في الجزائر إلى غزو باريس ذاهباً واسقاط الجمهورية الرابعة ليتولى ديجول السلطة بالقوة .

ولم يكن الموقف يحتمل إذن غير حل واحد أمام الذين يريدون تجنب فرنسا كارثة الحرب الأهلية وهو الخضوع لمطالب المستوطنين انفرنسيين ولجنة الجنرال ماسو . ولم لديجول الاستيلاء على السلطة في أول يونيو برغوه معارضة ٢٢٤ نائباً من نواب الجمعية الوطنية إذ لم يؤيده سوى ٣٢٩ نائباً .

وفور استيلاء ديجول على الحكم اشرع من الجمعية الوطنية تحت التهديد قراراً بتحويله سلطات مطلقة لمدة ٦ شهور بما في ذلك حق تعديل الدستور الفرنسي واجراء استفتاء شعبي بعد التعديل . وهكذا استطاع ديجول أن يستجمع كل سلطات الحكم في يده .

---

(١) سقوط ديجول

ولقد كان هدف مؤامرة المستوطنين الفرنسيين بالجزائر وعملاتهم من قواد الجيش الفرنسى من تدبير ذلك الانقلاب تنصيب دييجول بالقوة ووداضحا للغاية فهؤلاء هم الذين يملكون ثروات الجزائر تحت سلطات الاستعمار الفرنسى ، بل أن هؤلاء هم الحكام الحقيقيون لفرنسا ، فقد استطاع هؤلاء بالرشوة والارهاب ان يخضعوا ويشتروا كل سلطات الحكم فى فرنسا والجزائر : الجيش والإدارة ونواب الجمعية الوطنية والأحزاب والصحافة .

فهذا هو الهدف الرئيسى من وراء ذلك الانقلاب الذى دبره المستوطنون الفرنسيون الذين تمكنوا من رقب الشعب وثروات الشعب جميعا .

إبقاء الجزائر فرنسية . ووقع اختيار المتآمرين على دييجول بالذات لينفذ هذه الخطة القذرة . فدييجول كان ولا يزال يحلم ( بفرنسا الامبراطورية ) وكان يعيش بعقلية التوسع والانتشار ، هذا فضلا على أن تاريخ دييجول ذاته حافل بالجرائم الاستعمارية فهو صاحب النظرية الاستعمارية التى تمخض عنها مؤتمر برازفيل والتى تنص على ( ١ ) :

« ان النتائج التى وصلت اليها فرنسا فى النهوض بمستعمراتها توصد الباب أمام كل حق فى الحكم الذاتى أو أى احتمال للخروج على الكتلة الفرنسية ويجب الابتعاد عن انشاء حكومات مستقلة فى المستعمرات فى المستقبل البعيد »

ثم هو بطل مذبحه مايو ١٩٤٥ ، فى الجزائر التى راح ضحيتها حسب التقرير الذى قدمته لجنة التحقيق الفرنسية ذاتها ( خمسة وأربعون ألف قتيل ) ، ولكن الحقيقة كانت أهول من ذلك بكثير .

و دييجول فوق ذلك وبعد ذلك صاحب المواقف المخزية من حركات التحرير الوطنية فى سوريا وفى الهند الصينية وفى تونس ثم فى مراکش . تاريخ طويل صفحاته سوداء لكثرة ما اشتمل عليه وتضحية من جرائم ومذابح وأعمال قذرة .

---

( ١ ) سقوط دييجول

وعلى هذا فقد استدعى ديغول ليكمل الدور الذي تدا به بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد ظن المستوطنون وغلاة اليمين في الجزائر أن ديغول المريض بمرض الفرور والعظمة هو الوحيد القادر على أن يجمع السلطة في يده ويسير بالجزائر في الاتجاه الذي يريدونه دون معارضة وأن شييد جمهورية فاشية عسكرية يتربع فوقها فضلا على أنه يستطيع أن يقود الشعب الفرنسي في الطريق نفسه تحت تأثير المخدر الذي يتعطل في شخص ديغول الذي سيفهر بمفاهر البطل المنقذ .

وأعلن ديغول من مدينة الجزائر في ٤ يونيو ١٩٥٨ موقفه عن المشكلة الأولى والتي يتردى فيها الشعب الفرنسي واختار أولا سياسة الإدماج حيث قال :

« ان كل المواطنين في الجزائر سيصبحون فرنسيين ولم يعد في الجزائر مسلمون وفرنسيون كما كان الحال قديما » .

وأعلن ديغول عن مشروعه الجديد في الدستور ودعا الفرنسيين والجزائريين وكل سكان المستعمرات الفرنسية للمشاركة في التصويت على هذا الدستور .

وقد جاء الدستور الذي وضعه ديغول خلوا من أي نصوص تعترف باستقلال البلاد الجزائرية

ويائل ديغول نفسه كيف تم التصويت على هذا الدستور وان كان لايعرف - فنحن نقدم له الجواب - فقد قامت قوات فرنسا تحت تهديد السلاح بجمع عدد من البدو الجزائريين وساقتهم الى صناديق الانتخابات ولم تستطع قوات ديغول من أن تجبرهم على ان يقولوا نعم ( موافق ) الا وفوهات البنادق مصوبة الى صدورهم ولقد فشل الفرنسيون تماما في مدينة الجزائر نفسها على ارغام الناهجين على الادلاء بأصواتهم بالقوة . فقد هرعوا الى الجبال وظلوا مخفين فيها حتى موعد اغلاق صناديق الاقتراع .

وأرد أن اشير هنا الى الحقيقة التي تتعلق بهذا الاستفتاء

تلك هي أن الفرنسيين أنفسهم وافقوا على دستور ديغول وسط موجة من اليأس والشعور بالامبالاة .

فقد كان الشعب يدرك أنه إذا قال ( لا ) وعارض الدستور الجديد فقد تنشب الحرب الاهلية في فرنسا والذين قالوا (نعم) قالوها في موجة من الاستياء ليعبروا عن خيبة املهم في الحياة السياسية الماضية .

وبعد انتهاء عملية الاستفتاء هذه أعلن الجيش الفرنسي أن ٩٧٪ من الناخبين الجزائريين قد صوتوا لصالح الدستور الديجولي .

وكانت مهزلة مكشوفة تلك التي حدثت في شهر سبتمبر عام ١٩٥٨

### ديجول بين القول والعمل :

ماذا فعل ديغول طوال هذه السنوات الثلاث ، ما الذي حدث لفرنسا وللجزائر وللشعب الفرنسي الذي جاءوه بديجول زعيما ومنقذا .

هذا هو حساب الارباح والخسائر للحك. الفاشستي في فرنسا حتى يوم النصر .

### التآخي بين الارواح :

لقد عمدت حكومة ديغول التي جاءت بعد انقلاب ١٣ مايو الى تحقيق ثلاثة اشياء :

- ١ - توحيد فرنسا في الداخل .
- ٢ - امان تنظيم علاقاته مع المستعمرات .
- ٣ - جعل فرنسا قوة ذات كبرياء وهيبة .

وكان على الحكومة الجديدة ان تعكف على المشكلة الجزائرية وهي المحور الذي تدور حوله الحياة السياسية الفرنسية منذ اعوام .

ولكن ديجول غداة استيلائه على الحكم وسفّره إلى الجزائري راح يتحدث بالترنيل القديم نفسه من أن الجزائر لا يمكن لها أن تعيش دون رباط لا انفصام له مع فرنسا وأن على الجزائريين أن يعتبروا أنفسهم فرنسيين وادعى الفرنسيون موافقة الشعب الجزائري على دستور ديجول بأغلبية ٩٧٪ وكان المنطق البسيط يدل على أن بلدا يعيش في حرب من أربع سنوات حتى ذلك الوقت لا يمكن أن يعطى ٩٧ من أصواته للمستعمرين وبرغم ذلك فقد وعزت الصحافة الفرنسية في وقاحة لا تحسد عليها أن نتائج الاستفتاء تشهد بالأخاء وبتكامل الأرواح .

### مشروع قسنطينة :

وبعد الاستفتاء زار ديجول الجزائر وفي ٢ أكتوبر تحدث في قسنطينة ليحدد وجهة نظره بالنسبة لمستقبل العلاقات الفرنسية الجزائرية - وقد بدأ خطبه بأن أكد أن الجزائر وفرنسا يرتبطانما يسعون إلى اتخاذ إجراء يقصد به أحداث تغيرات جوهرية كل منهما بالآخر إلى الأبد ، ثم تحدث عن أن حكومته ترى ضرورة ( التفسير العميق ) للجزائر في الميدان الاقتصادي والاجتماعي ، ولهذا الهدف رسم فعلا مشروعا يستغرق خمسة أعوام ، وفي نهاية المشروع تكون الجزائر قد أصبحت بلدا زراعيا وصناعيا متقدما وأن دخل الجزائريين سيكون مساويا لدخل الفرنسيين . وفي خلال تطبيق المشروع سيتم توزيع بعض الأراضي الزراعية على الفلاحين وبناء عدد من المساكن للمشردين وفتح مدارس جديدة ومصانع جديدة تستوعب عدد من العاطلين .

وقد ردت الثورة على ديجول ردا حاسما في جريدة المجاهد :

" تستطيع فرنسا أن تقيم المشروعات الاقتصادية في بلادنا وتحمل ضغوط الشعب على العمل في تلك المصانع ، ولكن الثورة تبقى مسمرة إلى جانب تلك المصانع . "

وبعد ذلك تتابعت تصريحات المسؤولين في الحكومة الفرنسية نوحى بأنهم مستعدون للتفاوض مع ممثلين الجزائريين

المحاربين من أجل إيقاف الحرب ولكن في كل مرة كان ديجول والمتحدثون الرسميون يتحاشون كل تعبير دقيق . فقد عرضت كل الخطط والعروض بطريقة لا تربطهم بأية التزامات محدودة وبسرعة كبيرة أظهر سير الأحداث سر هذا التكتيك ، فلقد كانت التلميحات المهمة من أجل محادثات سلام : ليست الا دعوة لجهة التحرير باده لاستسلام بدون قيد أو شرط .

ثم جاء شهر نوفمبر ١٩٥٨ يحمل معه مهزلة جديدة من مهازل الزيف والتزوير تحت عنوان ( نظرية الإدماج ) .

فقد تصور المسؤولون في الجمهورية الخامسة ان انتخابات الجزائر سوف تعبر من جديد عن تكامل الارواح بارسال النواب الذين يؤمنون بالتكامل مع فرنسا الى البرلمان الفرنسي .

وفي الواقع أصبحت الجزائر عقب هذه الانتخابات ممثلة في ٧١ نائبا ممن يؤمنون ( بالتكامل ) ولكن ماقيمة نيابتهم . ولنيجيب على هذا السؤال يجب ان نذكر كيف جهزت الانتخابات وكيف أجريت ، ففي ليلة ٩ بالضبط وقبل فقل باب الترشيح بساعات قدمت اربعون قائمة بطريقة جماعية مفاجئة ، وقد اذاعت الصحف الفرنسية ان كل هذه القوائم كان الجيش قد اعدّها لتقديمها في حالة نجاح المقاطعة .

ويجب الا ندهش حين نعرف ان هؤلاء المرشحين والمنتخبين منهم ، هم من اشكال اساسي ممثلة لجنة ( الخلاص الوطني ) والمنظمات الاستعمارية الاخرى .

ولقد تمت الانتخابات اذن واطمان ديجول على انه قد احسن اختيار ممثلة الجزائر في جمعياته الوطنية ثم حدث ماذا - توالى الايام وتعاقبت الشهور وديجول المسكين ومن ورائه الشعب الفرنسي المفكك الذي يعاني البطالة والجوع . ينظر نظرة بين اليأس والامل ، تارة يسير في بأسه صوب امله ، وتارة اخرى يتجه بأمله صوب بأسه لا يعرف ماذا يصنع ثم سار الزمن وطوى في سيره عاما بأكمله ، والشعب الفرنسي لا يبتأ يرى الثورة الجزائرية وكما كانت من قبل زلزالا عنيفا ، يهز كيانه وبركانا نائرا فافرا فاه من تحت اقدام ، وكان اجتماع الامم المتحدة قد اقترب فماذا

يعمل ديجول والرأى العام الفرنسى قد بدا على اهبة الاستعداد  
بناقشه الحساب ، فسارع ديجول ثانية الى خطة الهجوم الشامل  
على القوات الجزائرية ولسكنه فشل - فى النيل - من احرار  
الجزائر وقوادها ، قلبا الى آخر ورقة يحتفظ بها حين أعلن عن  
استعداده للاعتراف بحق تقرير المصير . وعقد الصلح مع  
الجزائريين .

حاولت فرنسا ان تخدع العالم مرة اخرى وتحول انظاره  
عن حقيقة استعمارها البشع فى الجزائر ، وأن تسدل ستارا  
كثيفا من الدخان يخفى تلك المذابح التى يقوم بها جنودها فى  
البلاد ، وتحقيقا لهذه الغاية التى تسمى اليها فرنسا كلما اقترب  
موعد عرض القضية على الأمم المتحدة ، ادعى ديجول بأنه قد  
وجد أخيرا الحل النهائى للمشكلة الجزائرية .

وافاض الحلقون بأن صفحة جديدة تفتح فى تاريخ الجزائر  
واسدر رجال الدولة تصريحات مشابهة ، واتفق ايزنهاور وماكيلان  
فى المحادثات السرية التى دارت بينهما أثناء زيارة الرئيس  
الامريكى للمملكة المتحدة ، اتفقا على تأييد المشروع الفرنسى الذى  
تقدم به ديجول لتسوية القضية على أساس عدم منح الجزائر  
الاستقلال التورى ، بل مجرد اعتراف فرنسا بحق تقرير المصير فى  
المستقبل القريب .

وذلك الحل المظهرى ، و الورقة الخاسرة التى عمل ديجول  
على التلويح بها فى أوجه زعماء الجزائر محاولا تخدير الشعب  
الجزائرى .

فهى اذن مؤامرة ثلاثية حاك خيوطها ديجول مع حلفائه  
معقدا أن يعمل بذلك على تجنب عرض المشكلة الجزائرية وفى  
الأمم المتحدة ، ولكنه فشل فى ذلك وأحرزت الجزائر التأييد  
الامملى لقضيتها .

ثم تتابعت الايام وكشفت النقاب عن حقيقة مشروع ديجول  
واعترافه بحق تقرير المصير فقد ثار عليه المستوطنون وعلت  
الاضواء على تفسحة بسقوط ديجول لانه اعترف للجزائريين اعترافا

رسمياً مظهرياً بحق تقرير المصير ، وكان ان تراجع دييجول امام القوة التي أتت به الى الحكم .

لقد فشل دييجول في انتهاء الثورة عسكرياً ولم يبق أمامه الا ان يجرب أسلوب انتهاء الثورة سلمياً عن طريق المفاوضات والدعوة والعروض .

### مشروع دييجول :

ومن هنا كان نوب الاعتدال الذي لبسه دييجول لاقناع الثوار بالقاء أسلحتهم .

وقف دييجول يعلن رأياً فرنسياً جديداً في قضية الجزائر وذلك في خطاب ألقاه يوم ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ عارضاً على الشعب الجزائري حق تقرير المصير .

لقد كان عرض تقرير المصير يعني كل شيء الا تقرير المصير فعلاً ، فقد ربط دييجول عرضه بتحفظات وشروط واحكام أفقدت كلمة تقرير المصير كل معانيها الطبيعية .

ووراء الكلمات البراقة التي صاغ بها دييجول مشروعه كانت تكمن الحقائق التالية :

١ - كان دييجول يصر على ضرورة انتهاء الثورة أولاً ليعقب ذلك فترة مطولة من الهدوء يجرى بها الاستفتاء .

٢ - كان دييجول لا يريد تمكين الشعب الجزائري من تقرير مصيره بحرية فقد خاطب الجزائريين قائلاً " عليكم ان تختاروا الارتباط بفرنسا أو الاستقلال فيعنى وفوق كارثة " .

٣ - كان ( اعتدال ) دييجول يتلخص في قبوله قيام جزائر مرتبطة بفرنسا ) تتمتع بشيء من الحكم الذاتي والاستقلال في الشؤون الداخلية .

فقد كان دييجول يتحدث عن الاستفتاء ثم يرفض الارتباط بآية ضمانه .

وبالرغم من ذلك فقد أعلنت جبهة التحرير موقفاً إيجابياً

من تقرير المصير لتطالب بإزالة التحفظات والشروط والاحكام السابقة التي وضعها دييجول لنسف كل معاني تقرير المصير ، فقد طالبت الجبهة أن الاستفتاء بإشراف جهات دولية محايدة .

ولقد أدى موقف الجبهة الايجابي هذا الى كشف مشروع دييجول واعتداله المزعوم واظهاره على حقيقته مشروعا يهدف الى تصفية الثورة أولا من أجل تصفية مطلب الاستقلال آخرًا .

وفي ١٤ يونيو ١٩٦٠ دعا دييجول جبهة التحرير الوطني الى تدخل في مفاوضات للوصول الى نهاية مشرقة للقتال وتسوية وثمان مصر القاتلين » .

ولم تشأ الجبهة أن ترد سلبيا فأرسلت وفدا يمثلها الى باريس للقيام بمحادثات تمهيدية للاتفاق على تقلبات المفاوضات على جدول الأعمال .

ولكن سرعان ما عاد الوفد الجزائري بعد أن تعذر الاتفاق مع الجانب الفرنسي حتى على الأمور الشكلية .

فالعرض الذي يقدمه دييجول ليس عرضا ( للسلام والحلول العادلة ) لقد كان العرض بكل بساطة دعوة للاستسلام أن دييجول يطالب الثوار بالقاء السلام قبل الاتفاق على أية نقطة سياسية وقبل الحصول على أية ضمانات لتنفيذ استفتاء تقرير المصير .

وقد قال ( بومنجل ) عند سفره الى باريس .

« اننا لسنا زعماء عصاة ولكننا قادة ثورة ونحن لانذهب نحن نسلم ولكننا نلبي دعوة للتفاوض »

وهكذا توقفت المفاوضات التمهيدية في ميلون وكان طبيعيا أن يحدث هذا في ظل هذه الظروف وهذه النفسية التي تواجه بها فرنسا وفد المفاوضات وبذلك أثبت دييجول أنه كان ومازال الابن البسار لليمين الفرنسي ، وأنه كان اعجز بكثير من أن يفلت من أسار الجيش والعناصر اليمينية التي تستميت في محاربة استقلال الجزائر وحق شعبها في تقرير المصير .

## الجمهورية الجزائرية

بعد ١٢٨ عاما من الكفاح الطويل والتضحيات المبررة .  
وفع فرحات عباس يوم ١٩ سبتمبر عام ١٩٥٨ يعلن باسم اجيال  
الشهداء وباسم كل البطولات الشريفة في ارض الكفاح الصلبة ،  
قيام الجمهورية الجزائرية ، علامة نصر جديدة في طريق الشعوب  
انطلاقة لشعب يصنع المعجزات .

ان قيام الجمهورية الجزائرية لا يزداد اهمية بالنسبة  
للعرب فحسب ، ولكنه يشكل حدثا بيبجا في تاريخ العرب الحديث  
وهو كحدث ثوري عظيم لا يقتصر اثره على الجزائر فقط ، ولا على  
المنطقة العربية التي يقع فيها الحدث ، بل بتصددها الى الميدان  
العالمى الفسيح ، واعلان هذه الجمهورية امتاز بان اثره لم يكن  
محصورا بالزمن الذى حدث فيه . وانما كان ينبيء بالشعب  
والامتداد مع الزمن ويتفجر سلسلة احداث هامة في حياة الشعب  
الجزائرى وحياة العرب اجمعين .

فالجمهورية الجزائرية كانت اكثر من مجرد وحده دولية  
جديدة تزيد في لائحة الدول القائمة ، لقد كان اعلان قيامها  
يمثل حقيقة ابعد واهم وأخطر من ذلك . انها كيان دولى صغير  
يرمز الى كيان اكبر ، انها بداية طريق الى وجود اعظم ، انها  
انطلاق الى حياة جديدة والى مجتمع جديد وان قيمتها لا تانى  
فحسب ، من كونها كانت ثمرة كفاح طويل . وانما في كونها ايضا  
تحتوى على كل خصائص البذرة آتية التى يبدو ان كل شيء  
في ماضيها وحاضرها يهيء لها ان تنمو وتتمحور وتنتسب في  
المستقبل القريب فاهمية الجمهورية الجزائرية تكمن في انها  
حميرة وطاقة وقدرة وتحفز واتجاه ففى كالكيمياء التى تضاعف  
من التفاعلات الكيماوية في الاجسام التى تتصل بها ، ففى لم  
تترك بلندا أو وسطا سياسيا في العالم دون ان تحرك فيه الاهتمام  
ودون ان تلعب فيه بادرة لتبايدها بها أو لفكر انها وصم الاذان  
عن صوتها الرهيب ، وأول رد فعل كان هو عذبة الموحدة العامة

من انزعاج والحماسة التي عجت بها الشعوب العربية لاعلان هذا الحدث الذي يفتح للجزائر اوسع ابواب المستقبل المشرق الساهر ، ويعطيها مرتكزا اساسيا واسخا لامالها في القوة والتحرر من اغلال الاستعمار فحول هذه الجمهورية الجزائرية قد التفت قلوب جميع الجزائريين الذين يتحرفون شوقا الى الحرية .

ورد الفعل الثاني كان هو حركة العطف والتأييد والامل التي اختلجت في قلوب مئات الملايين من أبناء الشعوب الصديقة ، شعوب الجبهة الاشتراكية والشعوب التي سبق لها ان قاست من احوال الاستعمار او التي لا تزال تقاسم بعض الشعوب العربية الام الاحتلال الاجنبي والاستغلال الاستعماري . كل هذه الشعوب وجدت في اعلان الجمهورية الجزائرية فاتحة خير وبشير امل للشعب الجزائري بالنجاح في كفاحه ضد القوى الفاشية التي تسيطر على بلاده وتغرقل نموه . وكان رد الفعل المصاى في الجانب الآخر - جانب المستعمرين الفرنسيين الذين بدعوا بخشون انهيار وجودهم في الجزائر انهيارا كاملا .

ان هذا الحدث العظيم قد بعث في الشعب الجزائري الامل الكبيرة في امكانية تحدى فرنسا وقهرها بسبب التأيد العالمي الجديد والاعتراف الدولي الرسمي ، وهذا الوجود المادي والمعنوي الذي نسف كل الاطارات التقليدية التي ربطت يوما ما الجزائر بفرنسا وحطمت المرتكزات الفكرية والسلوكية التي خلقها الاستعمار الفرنسي ليؤمن سيطرته وتحكمه في ظلها .

وقد كان اعلان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الصفحة التي لطمت ديجول وسياسته الفرنسية عامة ، فقد وضع ذلك الاعلان فرنسا في مركز أسوأ مما كانت عليه قبل ديجول .

لقد ادى اعلان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الى انتقال الثورة الجزائرية من مرحلة الثورة الداخلية البحتة الى مرحلة الحرب الحقيقية بقيادة حكومة شرعية اعترف بها كثير من الدول .

## نضية الجزائر في الامم المتحدة

### مبدأ تقرير المصير :

ان مبدأ تقرير المصير ينضم في حقيقته امره ثلاثة معان بعضها مستقل عن بعض وان كانت الرابطة وثيقة - وهى :

#### اولا :

اى تغير اقليمي يجب ان يكون مطابقا لرغبة الشعوب القاطنة في المنطقة المراد فصلها من دولة ما لضمها الى دولة اخرى .

#### ثانيا :

الشعوب حرة في اختيار نوع الحكومة التى ترغب في ان تعيش في ظلها .

#### ثالثا :

شعوب الاقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى : المستعمرات : لها الحق في تقرير مصيرها بتحديد نوع الحكم الذى تريد ان تعيش في ظلله .

وقد ورد حق تقرير المصير في تصريحات الرئيس ولسر في اواخر الحرب العالمية الاولى ، ثم ورد بعد ذلك في عدة مواثيق دولية مثل تصريح الاطلنطى ، الذى وقع في ١٤ أغسطس ١٩٤١ كل من الرئيس روزفلت ومستر تشرشل ، ثم ورد اخيرا في ميثاق الامم المتحدة .

وجدير بالذكر ان الدول المناهضة للاستعمار قد استطاعت ان تجعل المادة الاولى في مشروع حقوق الانسان تتضمن ما يأتى :  
١ - لجميع الشعوب ولجميع الامم الحق في تقرير

(١) التنظيم الدولى : بطرس بطرس غالى

مصريها - أى الحق في أن تحدد بحرية نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

٢ - جميع الدول بما فيها الدول المتولية ادارة الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي والخاضعة للوصاية وكذلك الدول التي تشرف بآية صورة من صور الاشراف على ممارسة شعب آخر للحق المذكور ملزمة بأن تسهم في ضمان هذا الحق في جميع اقاليمها ، واحترام ممارسته في الدول الأخرى وفقا لاحكام ميثاق الأمم المتحدة .

وفضلا على ذلك فان حق الشعوب في تقرير مصيرها يشمل حقا دائما في السيادة على مواردها الطبيعية وثرواتها ، ولا يجوز بأي حال من الاحوال ان تكون الحقوق التي يمكن للدول الأخرى المطالبة بها مسوغا لحرمان شعب من وسائله الخاصة بهيشه .

ومن هذا يبدو ان فلسفة الأمم المتحدة اتجهت الى ربط اتحاده العلاقات الودية بين الدول بحق تقرير المصير .

### حق تقرير المصير في الميثاق :

تضمنت المادة الاولى من الميثاق في فقرتها الثانية على س على :

« انشاء العلاقات الودية بين الأمم المتحدة على اساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها حق تقرير مصيرها » .

وفضى ميثاق الأمم المتحدة على حق الشعوب في تقرير مصيرها فنصت كذلك المادة الخامسة والخمسون :

« رغبة في تهيئة دواعي الاستقرار والرفاهية الضرورية لتقويم علاقات سليمة ودية بين الأمم مؤسسة على احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب . وبأن يكون لكل منها حق تقرير مصيرها - تعمل الأمم المتحدة على ... »  
١ : بطرس غالي : التنظيم الدولي

وبصفت المادة ٤٨ من الميثاق الدولي لحقوق الإنسان السياسية والمدنية على وسيلتين لوضع حق الشعوب في تقرير مصيرها موضع التنفيذ .

الرسالة الأولى : الزام الدول المتعاقدة بما فيها الدولة المسؤولة عن ادارة المناطق غير المتمتع بالحكم الذاتي والمناطق الخاضعة للصاية بأن تقدم تقارير سنوية الى لجنة حقوق الانسان عن الاجراءات التي اتخذتها لمواجهة الالتزامات المفروضة عليها بموجب المادة الاولى الخاصة بحق تقرير المصير .

الوسيلة الثانية : تعهد الدول المديرة والدول الوصية باجراء انتخابات واستفتاءات وغير هذا من الوسائل الديمقراطية مع تفضيل ان يكون ذلك تحت اشراف الامم المتحدة بقصد تحديد الوضع السياسي لاي منطقة تحت ادارتها او تحت وصايتها .

وهكذا أصبح حق جميع الشعوب في تقرير مصيرها مسجلا بوضوح في وثيقة عالمية تعتبر الاولى من نوعها في تقرير الانسان وهي ميثاق الامم المتحدة .  
**القضية الجزائرية في الامم المتحدة :**

قامت خمس عشرة دولة من مجموعة الدول الاسيوية الافريقية بعرض مشكلة الجزائر على الامم المتحدة في ٢٩ يوليو عام ١٩٥٥ فقد قدم الممثلون الدائمون في هذه الهيئة الدولية الذين يمثلون كلا من : افغانستان - العراق - ايران - الاردن - ليبيا - باكستان - الفلبين - سوريا - اليمن . قدموا طلبا للسكرتير العام للامم المتحدة بشأن ادراج مشكلة الجزائر في جدول أعمالها ، وذلك طبقا للمادة الثانية من اللائحة الداخلية للامم المتحدة .

وقد وافقت الامم المتحدة في ١٥ نوفمبر عام ١٩٥٦ على ادراج مشكلة الجزائر في جدول أعمال الجمعية العامة واستقرت مناقشتها وقتا قصيرا ، وكان هذا هو أول تعهد دولي للجزائر .

وعرضت القضية أيضا بعد ذلك امام الجمعية العامة للامم

المتحدة لاتخاذ توصية لصيانة الامن الدولي والسلام العالمى  
في فبراير عام ١٩٥٧ ، وكذلك في الدورة الثالثة عشرة في ديسمبر  
١٩٥٧ ، وكذلك في الدورة الثالثة عشرة في ديسمبر عام ١٩٥٨  
وعرضت في الدورتين الرابعة عشرة عام ١٩٥٩ ، والخامسة  
عشرة عام ١٩٦٠ .

ولكن ماذا حدث طوال هذه السنين للقضية الجزائرية  
داخل جدران الامم المتحدة .

كنت فرنسا تعارض في كل دورة في عرض القضية على الامم  
المتحدة ومناقشتها على الصعيد الدولي . وكان المندوب الفرنسى  
يقف في كل مرة ليقول تلك العبارات السخيفة التقليدية :  
« ان الجزائر جزء من فرنسا وليس من شأن الامم المتحدة  
ان تناقش قضيتها ، وان ميثاق الامم المتحدة يمنع الامم المتحدة  
من مناقشة الشؤون الداخلية لفرنسا » .

وكانت الولايات المتحدة تقف بالطبع الى جانب سديقتها  
فرنسا في موقفها الاستعماري المتعنت بل وكانت الولايات المتحدة  
تذهب الى أبعد من ذلك فتصوت في لجنة التوجيه على عدم  
ادراج مشروعات قرارات المجموعة الاسيوية الافريقية في جدول  
اعمال الجمعية العامة .

وقد أعلن ممثل الولايات المتحدة مرارا في الجمعية العامة  
ان حكومة الولايات المتحدة ترى ان الامم المتحدة ليس لها حق  
التدخل في المسألة الجزائرية ولهذا فهو يعارض قرار الدول  
الافريقية الاسيوية ويقول كذلك ان الذين ابدوا قرار الجزائر  
انما يسعون الى اتخاذ اجراء يقصد به احداث تغيرات جوهرية في  
دستور الجمهورية الفرنسية الخ .

ولكن بالرغم من ذلك كانت تبحث القضية في اللجنة السياسية  
التي تابعة للجمعية العامة في كل دورة بالرغم من ارادة فرنسا  
الولايات المتحدة وقادة الاستعمار في المعسكر الغربى .

ولكن لم تكن تخرج هذه القرارات في مجموعها عن مجرد  
الدعوة التي توجهها الامم المتحدة الى فرنسا والاعراب عن امل  
الجمعية العامة في الوصول بوسائل مناسبة وبروح متسمة

بالنعاون والى حل سلمى ديمقراطى عادل لمشكلة الجزائر بما  
يشمى مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة ولا يخرج عن مجرد  
النوصبة ببدء المفاوضات بين الطرفين اللذين يهمهما الأمر ، قصد  
الوصول الى حل يشمى مع ميثاق الأمم المتحدة .

وعلى الرغم من ضعف صيغة هذه القرارات التى لاتنطوى  
على حسم وإيجابية من الأمم المتحدة فان فرنسا كانت تبذل  
الكثير من الضغط والتأمر الشديد والتهديد والوعيد ضد  
حلفائها والدول الأخرى التى تتعامل معها ، وكانت تضع في  
الميزان علاقاتها الدولية في كفة ونجاح مشروع يدين فرنسا  
في كفة أخرى، بل كانت تذهب الى حد التهديد بالتخلي عن النكتل  
القربى ان لم يؤيدها ويساندنها في قضيتها الخاسرة ، بل  
بالانسحاب من الأمم المتحدة ذاتها .

ولكن كان من الواضح ان فرنسا قد خسرت هذه المعركة  
ايضا ، وكانت هذه القرارات وحدها تعد صفقة كبرى لفرنسا  
ونذيرا بأن المستقبل يتغير دائما لصالح الجزائر وضدها هي ،  
فقد كسبت الجزائر هذه الجولات اذ خرجت المشكلة من النطاق  
الداخلي على عكس ما كانت تريد فرنسا الى المجال الدولي وابطل  
انقرار حجة فرنسا وحلفائها الزائفة التى يدعون فيها ان النزاع  
ليس من اختصاص الأمم المتحدة النظر فيه ، بل تنطوى هذه  
القرارات على اعتراف العالم بأن المسألة الجزائرية ليست مسألة  
فرنسية داخلية بل هي مشكلة خارجية تهدد الامن الدولي وتعلق  
شعب آخر له الحق في الحرية والانفصال عن فرنسا .

ويتعين علاجها وفقا لروح ميثاق الأمم المتحدة وحق الشعب  
الجزائري في تقرير مصيره وعلى أساس من الحرية والديمقراطية .

هذا ما كسبته الجزائر وما خسرت فرنسا ولقد كانت هذه  
هي بداية المكاسب الديمقراطية العادلة وبداية التأييد الدولي  
والتعاضيد العالي للقضية الجزائرية . والذي كان من شأنه حتما  
ان ينتهى بتحقيق الحرية والسيادة للجزائر المستقلة .

ولكن اصحاب الافكار الاستعمارية كانوا ينسون دائما ان  
من اهم الاشياء التى يتميز بها عصرنا في الوقت الحاضر هو ان  
قضية الحرية أصبحت تمثل مكانا في تاريخ العالم .

وقد تم ادراج القضية في جدول أعمال الجمعية العامة في الدورة السادسة عشرة عام ١٩٦١ وبدأت مناقشات اللجنة السياسية للأمم المتحدة في منتصف ديسمبر الماضي، وقد قاطعت فرنسا الجلسات وحضر المناقشات كمراقب محمد يزيد وزير الاستعلامات الجزائري وتقدمت الجمهورية العربية بالاشتراك مع ٣٠ دولة اسيوية افريقية بمشروع قرار يدعو الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والحكومة الفرنسية الى استئناف المحادثات بينهم من اجل ممارسة الشعب الجزائري لحقه في تقرير المصير والاستقلال مع احترام وحدة الأراضي الجزائرية .

وقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ ديسمبر ١٩٦١ على مشروع القرار الذي احالته اليها اللجنة السياسية الخاص بدمرة حكومة فرنسا وحكومة جمهورية الجزائر المؤقتة لاستئناف المفاوضات لتحقيق حق شعب الجزائر في تقرير المصير وفي الاستقلال، وتمت الموافقة بأغلبية ٦٢ صوتا ضد لا شيء ، وامتناع ٢٨ من التصويت وغياب أربعة منهم فرنسا : وكانت بريطانيا والولايات المتحدة واليونان واسرائيل وابطاليا من الممتنعين من التصويت .

## قصة المفاوضات الجزائرية الفرنسية

في حضم وضع سياسي متناقض وفي وسط جو مشحون بالانقلابات والهزات العسكرية ونشاط قوى اليمين الفاشية ونحت وطأة الخوف من شبح الحزب الاهلية الداخلية راح ديجول يحاول يائسا مدقوعا بالرغبة في الحفاظ على توازن القوى داخل فرنسا ، وراح ديجول يداعب اليمينيين وخيال العسكريين ضورا واليساريين انصار التفاوض طورا آخر .

والواقع أن التناقض الذي رسم وحدد اسلوب عوده ديجول الى الحكم وخروجه من عزله على اكتاف الفاشيين الفرنسيين عقب قيامهم بحركتهم الرجعية في مايو ١٩٥٨ الواقع ان هذا التناقض هو من اهم الاسباب التي جعلت الرئيس الفرنسي يبدو غامضا مترددا فمرة يعلن حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ، ثم يعلن بعد وقت قصير أن حل القضية الجزائرية سيكون الحل الذي يرضى عنه القادة العسكريين ويفاتلون من اجله ، ثم يعود ثانية ليعلن أن طريقه في حل الازمة هو ايجاد جزائر جزائرية ولكنه يتراجع بعدها ويقول أنه لا بد لفرنسا أن تحمي مصالحها في الجزائر وأن حق تقرير المصير لا يمكن أن يعطى الشعب الجزائري بلا قيود أو شروط ، هكذا كان موقف ديجول طوال الأشهر التي سبقت بدء المفاوضات وقد كان من جراء تردده ومراوغته وتلاعبه بالالفاظ أن شجع الروح العسكرية والنظر الفاشي على الثورة ضده لان اليمين الفرنسي ظن أن هذا التردد ليس سوى التطوئة لتسليم ديجول أمام الثورة الجزائرية المتصاعدة .

ومن خلال هذه الظروف التعسة التي كانت تواجه فرنسا ولا زالت تواجهها من جراء الحرب الجزائرية ، بدأت المفاوضات بين ممثلي الثورة الجزائرية وممثلي الحكومة الفرنسية في ابفبان في النصف الأول من عام ١٩٦١ .

وعلى أية حال فقد ذهب الوفد الجزائري الى ابفبان

تأييدا لحسن نواياه في الوصول الى حل للقضية ووضع نهاية للحرب الدائرة منذ سنوات ، وكما صرح مصدر جزائري كبير مسئول تعقبا على مفاوضات ايفيان ان الكسب الكبير الذي ححرزه الجزائريون هو :

١ - ان الفرنسيين قد اذعنوا بالاستقلال وانهم بطقوا بكلمة الاستقلال وان المفاوضات تجري بين طرفين على قدم المساواة وان الجنرال طرح كل أوامره عن سلاح الإبطال ومليون «الجزائر الفرنسية» .

٢ - ان الفرنسيين قد اعترفوا اعترافا وافيا بأن الحكومة الجزائرية المنبثقة عن جبهة التحرير هي الحكومة الشرعية والممثلة الحقيقية للشعب الجزائري وقد كان هذا الاعتراف بعد فشل ديجول في إبراز ( قوة ثالثة ) والقوة الثالثة في نظر ديجول هي ذلك ( الاتجاه الوسط ) الذي يعطى للجزائر شبه استقلال للسيطرة الفرنسية الاقتصادية والسياسية والعسكرية دواء الاستمرار والبقاء وان كان ثمة شكل جديد .

وهذا ما يعنيه ديجول حين يتحدث عن الجزائر الجزائرية . غير ان تلك المظاهرات الشعبية الجامحة التي انطلقت في كل مدن الجزائر يوم زيارة ديجول للجزائر في ديسمبر ١٩٦٠ والتي ارتفعت بها أعلام جيش التحرير فوق كل بيت كانت ردا حاسما وخيبة أمل فائلة لكل أوامه الدكتاتور الفرنسي ، بل لقد كانت هذه المظاهرات الشعبية عنصرا حديدا من عناصر النضال في الثورة الجزائرية لم يكن يتوقعه ديجول ، ان الجماهير العربية في الجزائر اليوم تسهم ايجابيا في احاط مشروعات ديجول وتزد عليها ردا جماعيا حاسما .

وهكذا بدأت المفاوضات الفرنسية الجزائرية . وقد تمكن تريب بلقاسم بعد وصوله الى جنيف :

« لقد اعترف ديجول بحق الجزائر في ان تستقل وعليها ان تتخلص النتائج الطبيعية المترتبة على ذلك » .

ولكن بدا واضحا من خلال هذه المفاوضات ان فرنسا لم تكن حادة في اعترافها هذا فقد بدأت المناورات والمحاولات منذ

اليوم الأول للمفاوضات لتبنيها وتزيفها ، ونتيجة لذلك سرعان ما برزت نغمة الخلاف التي اعترضت مفاوضات أيفيان بين الجانب الجزائري والجانب الفرنسي ، وكانت الخلافات تنحصر فيما يأتي :

### أولا : الهدنة :

اتخذت فرنسا في نفس اليوم الذي بدأت فيه المفاوضات في أيفيان قرارا بوقف إطلاق النار من جانب واحد وكان ذلك خدعة تهدف فرنسا من ورائها إلى تحقيق أغراض شتى من أهمها أن يقابل الجزائريون هذه الخطوة بخطوة مماثلة الأمر الذي أرادت فرنسا من ورائه تغيير طبيعة المفاوضات على أنها وقف إطلاق النار وأنها هدنة أيضا ، ما دامت هناك مفاوضات تجري بين الطرفين ، وفي كلمات وجيزة حاول ديجول أن يحمل الحقائق فوق ما تطبق بمحاولته الجمع بين المفاوضات والهدنة ووقف إطلاق النار مرة واحدة ، ولكن الموقف لم يكن يسمح بذلك أبدا ، فالجانب الجزائري يرى أن وضع السلاح ووقف إطلاق النار بمجرد بدء مفاوضات قد تنجح وقد تفشل معناه أن فرنسا تطلب من جيش التحرير والشعب الفرنسي الاستسلام المطلق ، وهذا مستحيل .

أما الهدنة وهي تعني الاتفاق على وقف النشاط العسكري كله والاعتراف بالوضع القائم في لحظة الهدنة من جانب الطرفين المتخاصمين ، هذه الهدنة يجب أن تكون على أساس الاعتراف بالجزائر باستقلالها الكامل لأنه ليس هنالك من الجزائريين من يقبل هدنة على أساس الحالة الراهنة ومن ثم فالهدنة أو وقف إطلاق النار لا يتم قبل الانتهاء من المفاوضات ، بل بعد الانتهاء منها وكشف الوفد الجزائري الخدعة الفرنسية وأوضح أن اتخاذ فرنسا قرار وقف إطلاق النار من جانب واحد يوم بدء المفاوضات في أيفيان لم يكن سوى محاولة مسرحية لكسب التأييد العالمي .

### ثانيا - ضمانات الأقلية الأوربية :

حاول ديجول طوال المفاوضات أن يركز الأضواء حول نقطة واحدة هي حقوق الأوربيين في الجزائر محاولا بذلك :

١ - تفسير الصورة الحقيقية لقضية الجزائر وذلك بالتركيز

على حقوق المليون أوروبي محاولا إبرازهم في شكل المعتدى عليهم والمهددين بالتشريد والاضطهاد لينسى العالم أنها قضية خمسة ملايين جزائري يقاسون القتل والابادة منذ ١٣٠ عاما .

٢ - طمسانة المليون أوروبي وقوى اليمين المتطرف الذين يعارضون سياسته ويشعرهم أنه الحريص على حقوقهم المدافع عنها حتى يضمن تأييدهم ويأمن ثورتهم للاطاحة بحكمه ولو أنه فشل في ذلك .

وكان رد الجانب الجزائري على ذلك بالتركيز على الموضوع الأساسي وهو حق تقرير المصير والضمانات اللازمة لمচারية تقرير المصير .

والخلاف حول هذه النقطة كان واضحا كالاتي .

أوضح الجانب الجزائري في واقعية واعتدال كبيرين أن الأوربيين المستوطنين في الجزائر لهم حق الخيار بين الجنسية الجزائرية للدولة المستقلة وفي هذه الحالة تعترف الحكومة الجزائرية بأن لهم أصلا أوربيا ، ومن ثم تكون لهم لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وقوانين الأحوال الشخصية الخاصة بهم والمحاكم التي تطبق هذه القوانين في نطاق الوطن الجزائري والدولة الجزائرية وأما من يختار من الأوربيين الجنسية الفرنسية ويريد أن يبقى في الجزائر كأجنبي فالجانب الجزائري مستعد في البحث عن الضمانات التي تضمن لهم مصالحهم المشروعة بما لا يتعارض مع قوانين البلاد الأساسية .

عندما معارضه الجانب الجزائري في المفاوضات أما الجانب الفرنسي فقد كانت لديه مشروعات استعمارية أخرى ، فقد أشار إلى التقسيم كحل أخير وضرب الوفد الجزائري أمثلة عديدة لأنظمة دستورية قائمة في عدد من البلدان أبرزها لبنان وقبرص وكندا . سويسرا على أساس أنه من الممكن تطبيقها في تحقيق التعايش بين الشعب الجزائري والأقلية الأوربية ، فاقترح الفرنسيون فرض نظام طائفي يحتفظ فيه لكل طائفة بامتيازات دائمة وعلى هذا يوجد (كيان جزائري) وليس وطنيا جزائريا ، ونقترح كذلك تقسيم الجزائر ولايات تحت حكومة مركزية واحدة كسويسرا أو كندا حيث توجد لكل ولاية فيها قوانين خاصة بها ولغة خاصة وبرلمان خاص ونظام

علمي خاص، ولها جميعا برلمان اتحادى وحكومة اتحادية ، وعرضت  
فرنسا تحقيقا لهذا التفكير الاستعماري فرض عملية تجميع وعجوة  
أوروبية الى مناطق معينة والعرب الى مناطق أخرى بقصد خلق مجتمع  
أوروبي في داخل البلاد له وضع دستوري خاص يجعل منه دولة  
داخل دولة .

هذا فضلا عن أفكار استعمارية أخرى كاجتسية اردوجه :  
لصمات الدسنورية التي نجس من الافة الاوروبية في الجزائر  
(كفنة) بها حق الاصل بأحارج وباليينات الدولية .

وفي كلمات وجيزة ازادت فرنسا أن تطالب بصمات وصفات  
للفرسيين المستوطنين تمنع أن نجعلهم على قدم المساواة مع  
المواطنين الجزائريين ونرقى إلى مرتبة الامتيازات الاجنبية  
الاستعمارية الأمر الذي ترفضه طعنا حكومة الجزائر .

ثالثا - الصحراء الكبرى

ادعت فرنسا في صحافة عربية أن الصحراء الكبرى ليس لها  
ساحب ، انها كالبحر الذي تقع بعض الدول على شواطئه ومن أم  
وبى ملك للجميع ، وان فرنسا هي التي عثرت على البترول بعنه  
التفقيب والتبج والتنفقات ، وعلى هذا فالصحراء الكبرى وما جرى  
حتها من بترول ومعادن ملك لفرنسا ، وان الجزائر شيء والصحراء  
شيء آخر ، وان خيراتها حق مباح لها واستندت فرنسا الى مجموعة  
من الحجج الواهية منها أن الشعوب التي تسكن الصحراء الكبرى من  
عناصر غير عربية وان الادارة الفرنسية كانت تخضع الصحراء لنظام  
اداري خاص يختلف عن ذلك الذي كانت تفرضه على المديرات  
الجزائرية . وادعت كذلك بأنه تاريخيا لم تكن الجزائر المستقلة  
سيطرته على الصحراء الكبرى بل اختصت سيطرتها على المنطقة  
الساحلية وفي الوقت نفسه أثارت فرنسا حق ملكية بعض الدول  
الافريقية لأجزاء من الصحراء كنونس والمغرب ومالي ، واقترحت  
فرنسا مشروعا استعماريا يقضى بأن تنظم الصحراء وفقا لوضع دول  
وأن تدار لمصلحة الدول المحيطة بها وتستوى في استثمار ثروتها  
البترولية والمعدنية الأخرى .

ولسكن الجانب الجزائري رفض كل تلك الحجج الواهية .

فصل الصحراء الكبرى عن الدول الجزائرية وحرمان الجزائر من أربعة أخماس أراضيها مؤيدا موقفه بحجج تاريخية وقانونية واضحة فأوضح أن هناك حدودا مرسومة بالفعل يجعل الصحراء جزءا من الجزائر ، وأوضح الجانب الجزائري أن الحكومة الفرنسية نفسها قد أعلنت في قانون ١٩٤٧ أن مقاطعة الجنوب يجب اعتبارها جزءا من المديريات الجزائرية الثلاث . فضلا عن أن قانون التجنيد ينص بأن مواطني الصحراء يخضعون للتجنيد العسكري كغيرهم من باقي سكان الجزائر دون تمييز . فضلا على أن ملايين الخرائط المطبوعة في فرنسا منذ ١٣٠ عاما تؤكد حقيقة أن الصحراء الكبرى جزء من الجزائر ، هذا إلى جانب أن التسمية العربية له بين عنصرية في يوم من الأيام ، بل هي تضم مخدش الحاضر التي تشكلت العربية وترتبط بينها وبين بعضها وشائج انتماء وصلت التاريخ المشترك والتكوين النفسي الواحد واستند الجانب الجزائري كذلك إلى قرار اجماعي صدر عن الجمعية الجزائرية التي أنشأت فرنسا في الجزائر وعلى هذا الأساس طالب الجانب الجزائري بضرورة تطبيق حق المصير على سكان الصحراء الكبرى كما طبق على سكان الجزائر وأوضح الجانب الجزائري أنه إذا اعترفت فرنسا بحق الجزائر في السيادة على الصحراء الكبرى . فإن الحكومة الجزائرية من جانبها على استعداد لأن تستور مع فرنسا وغيره من الدول في استقلال خياره . وأوضح الجانب الجزائري كذلك ردا على ما تدعيه فرنسا من حق ملكية الحكومة بعض الدول للأراضي لأجزاء من الصحراء . بأن الحكومة الجزائرية على استعداد لكي تبحث هذا الموضوع مباشرة مع الدول المعنية على اعتبار أن الحكومة الجزائرية هي الحكومة المسؤولة عن هذه الأراضي وبدون تدخل من فرنسا .

#### رابعاً - القواعد العسكرية :

أرادت فرنسا الإبقاء على القواعد العسكرية الفرنسية في الجزائر في شكل مساحات ومناطق عسكرية واسعة تبقى فيها قوات الجيش الفرنسي والراية الفرنسية وأن تظل هذه القواعد أيضا فرنسية أي تريد فرنسا خلق دولة فرنسية قوامها الجيش الفرنسي داخل أراضي الدولة الجزائرية المستقلة بالطبع ، وفي هذه الحالة استقلال رائت لا يحمل من معنى الاستقلال غير الاسم . وهذا ما رفضه رفضا باتا ونهايا الجانب الجزائري مصرا على ضرورة الحل .

الناجز الشامل لكل القوات الفرنسية من أرض الجزائر المستقلة .

## خامسا - حق تقرير المصير :

أما بالنسبة لموضوع الاستفتاء وحق تقرير المصير فقد عرفت فرنسا للجزائر بهذا الحق ولكن الخلاف يدور حول النقاط التي سيجرى عليها الاستفتاء بالجانب الفرنسي يريد أن يتم الاستفتاء على إحدى النقاط الثلاث الآتية :

١ - الجزائر الفرنسية المنضمة الى فرنسا .

٢ - الجزائر المستقلة المرتبطة مع فرنسا .

٣ - الجزائر الجزائرية بشرط الانسحاب التام والافتصادى والعسكرى والثقافى مع فرنسا .

ولكن الجانب الجزائرى يرفض ذلك ويصر على ضرورة أن يتم الاستفتاء على أساس الاختيار بين وضعين لا ثالث لهما .

## ٢ - الانضمام الى فرنسا .

ولا شك أن الشعب سيصر على الاستقلال التام لكل نتائجها الداخلية والخارجية وحينئذ يعرف العالم بوضوح حقيقة ارادة الشعب الجزائرى وللحكومة الجزائرية التى ستباشر مسؤوليتها فى الدولة الجزائرية المستقلة الحرة بعد ذلك فى تحديد نوع العلاقة التى الجزائر المستقلة بفرنسا فى مختلف المجالات .

## سادسا - ضمانات الاستفتاء :

دار البحث حول الضمانات الجديدة التى تكفل سلامة الاستفتاء وبعده عن التأثير ، ويرى الجانب الجزائرى ضرورة التمهيد من الآن لاجراء الاستفتاء بحيث تتولى ادارة فرنسية جزائرية مشتركة اعداد الشعب للاستفتاء والاشراف على عملية اتمام هذا الاستفتاء ، اد لايجوز أن تستفتى فرنسا الشعب قئما اذا كان يريد فرنسا أو لايريدها فى الوقت الذى لايزال الجهاز الادارى فى الجزائر استعماريا فرنسيا ، صرفا والجيش الفرنسى لايزال يمارس أمرها به وسيطرته

في الوقت الذي لا تزال معسكرات الاعتقال الفرنسية ومناطق  
التجمع تضم ما يزيد على مليوني جزائري .

هذه هي النقاط التي دار حولها البحث في المفاوضات التي  
جرت حولها وبين الجانبين الفرنسي والجزائري في ايفيان وبعدها  
لموجران والتي ظهرت بها حقيقة النوايا الطيبة للجانب الجزائري  
بحقيقة النوايا العدوانية لنجانب الفرنسي .

ولكن الموقف كله كان في تقديرى فى حاجة الى ما هو أبعد من  
مجرد خضوع فرنسا لنهاء المفاوضات لكي يطمئن عرب الجزائر واحرار  
العالم الى أن الله العذاب انشئ نطل من خلال العقلية الاستفلاية التي  
نقوم عليها النظم الاستعمارية الفرنسية قد تسبب نهمها للضحايا  
حتى لم يعد شعوذ الى مزيد .

## الاستعمار يشهد نهايته

إذا كنت قد تكلمت في الفصل الأول عن الاستعمار كمشترية وكظاهرة سياسية فلا بد أن أتكلم أخيراً عن الاستعمار كحقيقة زائلة وكتاريخ منصرم .

إن منطق التاريخ يقضى بأن يخلق الاستعمار بنفسه انقوى اننى تؤدي به في النهاية ، سواء أراد ذلك أم يرد ، وهذا هو ما يحدث الآن في المستعمرات ، إذ أن إنشاء السكك الحديدية وتنفيذ المشروعات يفرض نهب الموارد الطبيعية الموجودة في المستعمرات وإنشاء الموانئ والمراكز التجارية ، كل ذلك يؤدي إلى إيجاد طبقة عاملة ، وجماعة من المنتفعين من أهل البلاد وبورجوازية وطنية صغيرة في المستعمرات ، تلاقى العنت والاضطهاد من أقطاب الاحتكارية الاستعماريين ، كما يؤدي ذلك إلى تطور وازدياد الكفاح الوطني وقد ظهرت نتيجة ذلك بالفعل في المستعمرات والبلاد التابعة قوى اجتماعية حديثة تتولى قيادة الكفاح الذي تخوضه الشعوب المغلوبة على أمرها في سبيل تحريرها ، ولقد صار لحكومة التحرير الوطني طابع جماعي ، وأحرزت تلك الحركة انتصارات ذات أهمية تاريخية كبيرة حيث تمضي الآن شعوب المستعمرات قدما ( كل بطريقة الخاصة ) إلى تحقيق انتصارها على أولئك الذين ساء بها أسفروا طويلا .

فاليوم تجري تغيرات تاريخية عميقة الأغوار في بلاد كل من القارتين الآسيوية والأفريقية وهاتان القارتان نزيديان في المساحة على نصف الكرة الأرضية فقد استطاع بليرن وأربعمئة ألف نسمة أن يتحرروا بعد الحرب العالمية الثانية من نير الاستعمار وأن يسيروا في طريق التطور الوطني المستقل .

ففي بحر السنوات الأربع التالية لانعقاد مؤتمر باندونج حصلت شعوب السودان ومراكش وتونس وغانا والملايو وجمهورية غينيا على استقلالها وفي عام ١٩٦٠ وهو عام الحرية في أفريقيا .

حصلت كل من توجو والصومال وجمهورية مالي والسنغال  
وساحل العاج وداهومى وفولتا العليا والنيجر وتشاد وأفريقيا  
الوسطى وجابون والكنغو : حصلت هذه الدول جميعا على  
استقلالها فضلا عن جزيرة قبرص .

وبن سبيل اليوم دور التغيير الذى يقوم به هذه الشعوب  
متحررة في ميدان السياسة الدولية والمنظمة العالمية .  
وقد اظهر مؤتمر تضامن الدول الافريقية والاسيوية الذى  
عقد في القاهرة عام ١٩٥٧ والمؤتمر الذى عقدته الدول الافريقية  
المتحدة في ابريل ١٩٥٨ ومؤتمر اكرا في ديسمبر ١٩٥٨ ومؤتمر  
بوروفيا في أغسطس ١٩٥٩ ومؤتمر الدار البيضاء في يناير  
١٩٦١ اظهرت هذه المؤتمرات للعالم اجمع ان الشعوب المستعمرة  
في افريقية واسيا قد استيقظت نهائيا ومارست نشاطها السياسى  
ولن تتراجع او تنقرض .

وهكذا اصيب النظام الاستعماري العالمى بصرته فاصمه  
من يقيم منها بل انه يعانى اليوم سكرات الموت . ولم يكن بوسع  
الاستعمار الفرنسى من جهة أن ينجو من عواقب هذا الضعف  
الذى اصاب نظام الاستعمار العالمى : فازدياد خطورة التوتر بين  
البلد المضطهد والبلدان المضطهدة قد تجلّى في اضطراب الاستعمار  
الفرنسى الى خوض حروب استعمارية طويلة المدى لفرض  
سيطرته وعندئذ اتضح جليا ضعف الاستعمار الفرنسى وعجزه  
عن الانتصار في هذه الحروب ١ .

وهكذا قد اصيب الاستعمار الفرنسى منذ عام ١٩٤٧ بنكسة  
كبيرة فقد خسر نهائيا فيتنام الشمالية وفي عام ١٩٥٥ وضع  
الحكم الذاتى الممنوح لتونس عام ١٩٥٤ موضع التطبيق . وفي  
مراكش عاد سلطانها الشرعى الى عرشه عام ١٩٥٥ . وفي الجزائر  
اُعلنت اقلаса دموية استطورة ( الجزائر ) مقاطعة فرنسية فضلا  
عن حصول كل المستعمرات الفرنسية الاخرى في افريقية على  
استقلالها وقد كان من نتيجة هذه الضربات القاصمة التى توجهها  
الشعوب الناهضة في افريقية في سبيل القضاء على الاستعمار

(١) الاستعمار الفرنسى في المغرب العربى : هنرى كلود

والآخرون .

وان أصيب المستعمر بجسود وهديان فحسده يحساور  
الاستعمار بالبقية الباقية من المستعمرات يستغل مواردها  
دعويها فما هي فرنسا تتابع حروبا دموية في الجزائر منذ  
سبع سنوات وتراها تقبض يديها اليزبتين على خريطة ماتدببه  
بالامبراطورية الفرنسية ، ونحن لا نستطيع بل لا يستطيع انسان  
حصر عدد الابناء والبنات من الشعب الجزائري الذين سقطوا في  
سندان القتال صرعى أو عذبوا حتى الموت بأيدي ذبانية فرنسا  
ومع هذا فقد فشل المستعمرون في القضاء على رغبة شعب  
الجزائر في التحرر لان القضية التي يقاتل هذا الشعب من أجلها  
قضية رابحة لا تقهر ، ولكن الاستعمارين الذين يخالفهم الاحساس  
بحتمية انهيارهم لا يتورعون وهم يحاولون أن يعولوا دون ذلك  
عن استعمال أشنع الطرق وأكثرها تجردا من الانسانية ، أن  
الاستعمارية الفرنسية تحتضر وهي في احتضارها ما زالت تستطيع  
أن تسبب آلاما تفوق التصور للملايين وملايين من الناس ، ولكن  
ليس من قوة تستطيع أن تحول دون انهيارها ، أما الطبقات  
الاستغلالية من الاحتكاريين والبورجوازية هذه الطبقات التي  
تفادر خشية المسرح الجزائري التي مثلت عليها آدمي مأساة  
استعمارية وأسوأها فهي آخر من يدرك أن يومها قد  
انتهى .

ونحن اذا اردنا تبيان جناية الاستعمار على نفسه .  
فلا بد أن يكون الاستعمار الفرنسي في الجزائر مثلا على ذلك .  
فالاستعمار الفرنسي في الجزائر قد مزق الشعب الفرنسي وخرب  
الاقتصاد الفرنسي ، فهو يستنزف من الميزانية الفرنسية مائة  
واربعين مليار من الفرنكات على النفقات العسكرية والبوليسية  
الاعتيادية اللازمة للاحتفاظ بامتلاكات الفرنسيين في الجزائر .  
ويضاف الى هذا المبلغ الاعتمادات العسكرية التي تبلغ على حد  
تقدير الدوائر المحافظة اربعمائة مليار فرانك في العام الواحد .  
وذلك لعدة أعوام متتالية بغية مكافحة حركة التحرير الوطني .  
الجزائر .

## طريق الخلاص :

ولما كانت فرنسا الاستعمارية لا زالت تقف في وجه التاريخ ولما كانت لا زالت ترفض التفاوض بنية نزيهة صادقة مخلصه ، ولما كان الاستعمار الفرنسي لا يزال يرفض أن يموت ، لذا كانت الثورة وحدها هي طريقنا الى الخلاص ، فاستمرارها هو استمرار لضعف العدو وتحطيمه وموته في النهاية ، الثورة هي المنطق الوحيد الذي يعلم فرنسا حتمية التاريخ

ولما كانت قضية الجزائر قضية لقوى السلام في بلدان العالم ولما كان الشعب الجزائري الذي يحارب حلف الاطلنطي بقواته وأسلحته هو الشعب الذي يقوم بدور الطليعة البشرية كلها في سحق قوى العدوان ومنع العدوان ومنع الحرب الشاملة ، ولما كان هناك ارتباط وثيق بين حركات التحرر الوطني في كل مكان في العالم وبين تحطيم محاولات المعسكر الاستعماري الذي بود أن يحيل الجزائر وغيرها من البلدان الى قواعد عسكرية للعدوان والحرب . كان ان أصبحت قضية استقلال الجزائر هي قضية المحافظة على السلام العالمي .

ومن هنا كانت قضية الجزائر قضية تهم انجرازيين ، ولكنها تهم العرب جميعا ، لا بدافع المصلحة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وحدها بل أكثر من ذلك ، فقد كان استعمار الجزائر هو الثغرة التي نفذ منها الاستعمار الفرنسي للعالم العربي كله ، وبهم ايضا كل الاحرار في العالم لا بدافع العطف على الحسرة وحده ، ولكن لان الجزائر هي البوابة التي سقطت منها كل افريقية وتحرر الجزائر يعني حماية استقلال افريقية .

وبالإضافة الى كل ذلك فان شعار القومية العربية التي ترتضيه وتؤمن به الشعوب العربية جميعا معناه ان قضية الجزائر هي قضيتنا وان حرب التحرير الدائرة هناك هي حربنا وان الضحايا الذين يستقون كل يوم هم ضحايانا وان أحسار الشعب الجزائري على الاستمرار في النضال حتى النصر ، ومهما كانت التضحيات هو هم أحرارنا .

وقد فطنت فرنسا الى هذه الحقيقة واصطدمت بها

وعرف ان لا سبيل الى نكرانها ، بل وقد أدركت فرنسا  
العوامل الأساسية في السياسة الدولية التي ترسم الصورة  
وتحدد الموقف . وقد كانت واضحة امامها كما يلي :

١ - لا يمكن الجيش الفرنسي أن يحصل على نصر عسكري  
حاسم فقد يمكن أن يستتب النظام نسبيا طالما بقي في الارض  
الجزائرية نصف مليون جندي ، أي جندي واحد لكل اثنين من  
المستوطنين المدنيين ، غير أن الاقتصاد الفرنسي في خطر ، ولن  
يواصل الاقتصاد الداخلي توسعه بصرف ٥٤٠ مليار فرنك كل عام  
لقمع الثورة في الجزائر ، بل ان متوسط العجز الذي تعانيه  
الميزانية الفرنسية سنويا والذي يبلغ ٦٠٠ مليار فرنك لدليل  
واضح على أن عوامل الانهيار بدأت تعمل في الاقتصاد الفرنسي ،  
الذي لن يفيق من انهياره تحت ضربات الثورة الجزائرية  
القاسمة .

٢ - دخلت الحرب التخريبية الى شملها الشعب  
الجزائري في عامها الثامن لتطهير وطنهم من الاستعمار الفرنسي  
وبالرغم من الإجراءات الوحشية والفرع الذي نشره المتطرفون  
انفاشست فان وطنيي الجزائر لم يفقدوا ثقتهم في النصر لحظة  
واحدة وفي عدالة قضيتهم « وسوف تتحرر الجزائر »

٣ - ان الشعوب العربية قد آلت على نفسها ان تمتع  
الكارثة وأن تحمي الحرية في الجزائر بأن تضاعف من تضامنها مع  
الشعب الجزائري ، لتقلل من الضحايا والتقرب يوم النصر .

وقد أدركت فرنسا أن هذه الامال قد أصبحت حقائق  
موضوعية وأساسا عمليا واضحا ومنهاجا شريفا للعمل ، وضعه  
وزراء الخارجية العرب في اجتماعهم الكبير بمؤتمر شتودة في  
أغسطس ١٩٦٠ .

٤ - ان قوى السلام في العالم والمعسكر الاشتراكي الذي  
ساند الشعوب العربية في جميع قضاياها وقد وطد العزم على  
مضاعفة جهوده لمساندة الشعب الجزائري والتضامن معه  
في نضاله وبذل كل ما يمكن من المساندة والمساعدة المادية .

٥ - أدركت الشعوب العربية والقوى التحررية أن الحل  
العملي الوحيد الحاسم للقضية الجزائرية إنما يكمن في وجوب  
تعريب وتدويل الحرب في الجزائر . وذلك بأن يتدفق المتطوعون  
من كل البلاد العربية لحماية جزء من أرض العروبة في الشمال  
الافريقي وبأن ينزع المتطوعون من كل شعوب الأرض المحبة  
للسلام والحرية لتجدة الجزائر في محنتها ، فقد بدأ واضحا  
أمام أحرار العالم أن الذي كان يدور في الجزائر ليس حربا ولكنه  
نحلة قد يطول القرار الثاني من قرارات مَرتمة شتيرة

٦ - القضية الجزائرية كانت تنظر في كل عام أمام منظمة  
الأمم المتحدة وهذا يفتح الفرصة أمام الشعوب في فضح الاستعمار  
الفرنسي والمطالبة بإدانتها وإرغامه على سحب قواته من الجزائر .  
واحترام سيادة الشعب الجزائري على أرضه . حتى أن ثالث بضع  
الفرصة لمزيد من الضغط الدولي ومزيد من سحق الرأي العام  
العالمي على الاستعمار الفرنسي .

أدركت فرنسا كل هذه الحقائق ولم يدن أمامها أخيرا إلا  
لاعتراف بالواقع الذي لا سبيل إلى إنكاره .

١ - أن الجزائر أمة حرة تمارس إرادتها وتؤكد وجودها  
وهذا أمر ليس في استطاعة فرنسا عمل أي شيء لمناهضته .  
فعلينا الرضوخ والاعتراف بالواقع القومي في الجزائر .

ب - يمكن لطائفة المستوطنين الأجانب التعايش سلميا مع  
الوطنيين الجزائريين الذين هم على استعداد لمنح هذه الطائفة  
الجنسية الجزائرية وتوفير الحياة الهادئة لهم . وكفالة حقوق  
المواطنين الخاصة بهم .

ج - على فرنسا أن تترك أمجاد الماضي وأحلامه وتنسى  
نما كانت يوما دولة كبيرة . تسيطر على مستعمرات واسعة  
وتسيطر سلطاتها على اقتصاد هذه المستعمرات ، فتعدها بالقوة  
والثراء ، وتجد فرنسا أصحاب هذه الثروات الأصليين بالفقر  
والظلم والاستبداد .

د - لقد حان الوقت لان نقبل فرنسا حكم التاريخ لوضع  
يده عن هذه التلاد الافريقية ، ولتکف عن استغلال مهب  
الموارد والثروات الجزائرية . وان يتغير الوقت فتصبح مساهمة  
الصحراء مركز تعاون بين فرنسا وشمال افريقية كما تسير  
فرنسا مع البلاد الجزائرية المستقلة ، متبها في ذلك مثل غيرها  
من البلدان الأوروبية وغير الأوروبية في اقامة روابط اقتصادية  
ومانية تكون رابحة للجميع ولمصلحة الجميع .

و - دلت التجربة على أن الجهود التي تبذل لحرمان الشعوب  
من حقها المقدس ، لا يرجي منها أي خير وان المحاولات التي تبذل  
بقصد الإبقاء على نظام قضي عليه بالموت ، لا تصبح عنها إلا  
التوتر الدولي ونشوب الحروب .

## مفاوضات إيغان الثانية

دارت مفاوضات سرية بغير رسمية بين الحكومة الجزائرية المؤقتة والفرنسيين الفرنسيين . وقد استمرت هذه المباحثات أكثر من شهرين . وكان يتم اللقاء بين ممثلي الوفدين الفرنسي والجزائري في بطنه تقع على الحدود الفرنسية السوسرية .

وكانت الموضوعات التي تناولتها المفاوضات هي الموضوعات التي دارت حولها المفاوضات الفرنسية الجزائرية في إيغان ولوجران من قبل ، وهي شروط وقف إطلاق النار . وضمانات الأقلية الأوروبية وحقوق تقرير المصير . وضمانات الاستفتاء الخ .

وكانت البرقيات تحمل لنا دائما أنباء مضمارة من طبيعة سيرة هذه المباحثات التي تغيرت كثيرا وأجهت عديدا من الأزمات فتارة نجينا الأنباء متفائلة تعلن أحراز التقدم وقرب الاتفاق ، ثم لا تلبث البرقيات أن تحمل لنا أنباء معاكسة تشير إلى تغير الجانبين وتوسع شقة الخلاف الأمر الذي يجعل إمكان التلاقي شبيها بعيد الاحتمال .

ولكن فجأة وبعد كل هذه الجهود المضنية التي أنجزت مشروعا للاتفاق أمكن الوصول إليه خلاف المحدثات السرية بين الجزائر وفرنسا وعلى إثر ذلك بدأت الحكومة الجزائرية المؤقتة في تونس تعقد اجتماعاتها المتتالية لمناقشة إمكان إبراز ذلك الاتفاق ، وبعدها طارت الحكومة الجزائرية التي طرابلس لعرض نتائج المفاوضات على مجلس الثورة الجزائري ، الذي عقد اجتماعات متتالية لبحث الموقف انتهى بأن أصدرت حكومة الجزائر المؤقتة بلاغا رسميا يوم ٢٨ فبراير عام ١٩٦٢ في تونس قالت فيه أن مجلس الثورة الجزائري أنهى اجتماعه وأنه قرر انتداب الحكومة الجزائرية للاستمرار في المفاوضات مع فرنسا للوصول إلى اتفاق على وقف إطلاق النار في الجزائر . يلاحظ أن كلمة انتداب هذه تعني أن المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، وهو أعلى سلطة دستورية في أجهزة الثورة يمثل الحكومة الحالية التي يرأسها السيد يوسف بن خدة ، تفوض

سبعة المدونات الجارية مع فرنسا وإعلان وقف إطلاق النار في الوقت المناسب ، دون الرجوع إلى المجلس مرة ثانية .

وم كادت اجتماعات المجلس تنتهي في طرابلس في ساعة سخرة من صباح يوم ٢٨ فبراير ١٩٦٢ حتى غادر جميع الأعضاء وعددهم ٥٤ عضوا المدينة عائدين إلى تونس والجزائر دون الإدلاء بأي تصريح ، وقد ناقش المجلس خلال اجتماعاته ما يقرب من ٤٠٠ صفحة تقريبا وهي عدد الصفحات التي يتألف منها مشروع الاتفاق بين الجانبين .

وقد كانت الخطوط العامة لشروط الاتفاق بين الجانبين كما يلي :

١- أن توافق فرنسا على أن يكون للجزائريين حق تقرير المصير .

٢- أن تشكل هيئة تنفيذية مؤقتة من الوطنيين والفرنسيين براسها وطني في مقر الحكومة الفرنسية بالجزائر للإشراف على إدارة البلاد خلال فترة الانتقال ومدتها ستة أشهر .

٣- أن تشكل قوة للأمن تضم عددا يتراوح بين ٢٠ و ٤٠ ألف جندي بقيادة قائد وطني وستكون هذه القوة مسؤولة عن الأمن الداخلي للبلاد خلال فترة الانتقال : هذا على حين سيبقى الجزء الأكبر من قوات فرنسا في الجزائر وعددها الآن ٤٠٠ ألف جندي لفترة من الوقت .

٤- أن يجري استفتاء في جميع أنحاء الجزائر بعد حوالي شهرين ويشترك في هذا الاستفتاء جميع سكان الجزائر ويدور حول الاستقلال أو البقاء تحت الحكم الفرنسي .

٥- أن تقوم جمهورية الجزائر المستقلة إذا جاءت نتيجة الاستفتاء في مصلحة الاستقلال وهذا ما سيحدث بالفعل .

٦- أن تحتفظ فرنسا بحاميات وقواعد لها في الجزائر لوضع سنوات .

٧- أن تتعاون فرنسا والجزائر في استقلال بتروول الصحراء .

٨- أن تقدم الجزائر ضمانات قوية لحماية مستقل الفرنسيين

والأوروبيين في الجزائر ومعددهم مليون و ١٠٠ ألف مليون شخص .

وبلاحظ أن الصيغة التي خرج بها البيان الرسمي الجزائري المشار إليه كانت تشير إلى :

١ - أنه لم يتم بعد وضع الحلول النهائية والتعصيفيه للتصا الرئيسية المعلقة وأن بعض هذه الحلول لا تزال بحاجة إلى بعض التعديلات وأن مسودة الاتفاق قد تركت بعض النقاط الثانوية التي لم تحل بعد .

٢ - أن المجلس الوطني قد وافق على الخضوع العامة للموقف الجزائري ، وأضاف ضمن نطاق الخطوط العامة بعض التعديلات والتي لا تبدل من جوهر الموقف .

وهذا بين أنه كان لابد من اتمام مرحلة أخيرة من المفاوضات مع فرنسا وأن وقف إطلاق النار سيأتي نتيجة مفاوضات علنية تتركس من حيث الشكل الذي توصل إليه الطرفان الجزائري والفرنسي في المفاوضات السرية .

وفي يوم ٥ مارس ١٩٦٢ أصدرت الحكومة الفرنسية وحكومة الجزائر المؤقتة بلاغين رسميين اذ يعان في باريس وتونس في وقت واحد . قال البلاغان أن المرحلة النهائية للمفاوضات بين الجانبين ستبدأ في أيفيان يوم ٧ مارس .

وبالفعل وصل الوفد الجزائري إلى جنيف محزون من تريم بلقاسم يرافقه وزيران جزائريان : هما السيد الأخضر بن طوبان : وزير الدولة والسيد محمد يزيد وزير الاستعلامات . ويضم الوفد كذلك السيد محمد دحلب وزير الخارجية ، وصاحب الوفد ممثلا من جيش التحرير الوطني الجزائري . وهو ضابط يدعى بن عودة بن مصطفى ، وكذلك رضا مالك الناطق الصحفي الرسمي بلسان الوار الجزائريين . وقد بدأت مفاوضات الرسمية الخاصة بالمرحلة النهائية للاتفاق على وقف إطلاق النار يوم الأربعاء ٧ مارس . وعقدت الاجتماعات في فندق : دي بارك ، بمدينة ايفيان وهكذا بدأت مفاوضات ايفيان الثانية .

هذه وقد دارت مفاوضات إيفيان بين الرندبين الفرنسي والجزائري على ثلاث مستويات الاجتماعات الأولى بين أعضاء الوفدين ثم عمدت اجتماعات أخرى بين الوزراء . وفي النهاية اجتمع الخبراء لبحث التفاصيل النهائية .

وقد واجهت مباحثات إيفيان مشكلات كثيرة كانت لا تزال تنتظر الحل هي مشكلات لم يبت فيها الوفد الفرنسي أثناء المباحثات السرية السابقة التي جرت في بلدة لاروس في الشهر الماضي . وكانت هذه المسائل موضوع المناقشة في محادثات إيفيان وكان من المضمّن أن يتخذ الفرنسيون قرارا صريحا في سبب حتى يمكن الوصول إلى حل حقيقي يعيد السلام في الجزائر . وكان واضحا أن الفروض من جانب الوفد الفرنسي في مناقشته أن يسفر إلا عن تأخير موعد اقرار السلام .

وفي تونس - أذاعت وكالة الصحافة الجزائرية بيانا بعد أيام من بدء المفاوضات كشفت فيه الكثير عن أسرار الموقف بين الجانبين المتدريين قالت أنه إذا أصرت فرنسا على رفض تزويد قوات الأمن الجزائرية المحلية بالهدد الكافي من الرجال للقضاء على الفاشيين الإرهابيين من رجال المنظمة السرية فإن الجزائر ستسعى أن فرنسا اختارت إطالة أمد الحرب .

وجاء في البيان أن المفاوضات التي تدور الآن في إيفيان بين الجانبين الجزائري والفرنسي حول هذه المسائل الهامة المتعلقة المتعلقة بفترة الانتقال ستبين مدى إخلاص فرنسا في نواياها .

هذا وقد برزت الخلافات بين وجهتي النظر في المباحثات حول الأحكام الخاصة بالمنظمة لفترة الانتقال كما يلي :

## ١ - جيش التحرير الوطني الجزائري :

كان الوفد الجزائري يرى أن قوات هذا الجيش يمكن أن يجمد نفسها في الفترة بين إعلان وقف القتال وإعلان نتيجة الاستفتاء ، وأوضح الجزائريون أن إعلان وقف إطلاق النار ليس نتيجة لهزيمة الجزائريين في ميدان القتال ولهذا فهم لن يلقوا بالسلاح وإنما يدخلون في مفاوضات في النهاية حصولهم على الاستقلال ، وأنهم لن يتخلوا عن سزجهم في وقت لا تزال فيه لمنظمات الإرهابية الفرنسية تحكّم الجزائر بل تحكّم فرنسا . سلاح والقتل والإرهاب .

وطالب الجانب الجزائري أن تصدر الأوامر منه إلى نواب جيش التحرير الموجود في الجزائر ، بوقف عملياتها الحربية هناك ، إلى أن يتم إعلان استقلال بلادهم وتأليف الجمعية الوطنية الجزائرية الجديدة . وأوضح الجانب الجزائري أنهم سيطلبون لجيش التحرير مواصلة القتال ، إذا عجزت فرنسا عن تنفيذ الاتفاق الذي سببرمه مع حكومة الجزائر المؤقتة .

ونشأن كان الجانب الفرنسي يرى أن يقوم رجال جيش التحرير بتسليم أسلحتهم بعد إعلان وقف القتال دون الإكتفاء بتجميد موقف القوات الجزائرية . وأوضح الجزائريون أن حاجتهم في بقاء السلاح مع جنودهم هي أن يكونوا دائما مستعدين في احتمال .

## ٢ - المجاهدون الجزائريون في تونس والمغرب

قال الوفد الفرنسي أنه يخشى من بقاء هؤلاء المجاهدين على حدود الجزائر ، لأنهم سيكونون على استعداد دائم لمهاجمة لقوات الفرنسية بها في أي وقت . ورد الوفد الجزائري بأن قيادة جيش التحرير مسئولة عن تحركات جميع قواتها سواء ما كان منها في داخل أرض الجزائر أو في حرجبها . من هؤلاء جيش بالسيبة بفرنسا ، التي تعدد السيطرة على بعض قواتها الروسية . وعلى رجال الجيش السرى الذين عملون في الجزائر ، بل وفي فرنسا نفسها .

## ٢ - قوات الأمن المحلية في الجزائر :

تطلب الجانب الجزائري أن يزيد عدد قوات الأمن المحلية في الجزائر إلى ٧٥ أو ٧٠ ألف جندي لمواجهة الموقف أثناء فترة الانتقال ورأى الفرنسيون أن يكفي بخمسين أو ٥٥ ألف جندي. ودارت المفاوضات للوصول إلى حل وسط بالنسبة لهذه المسألة .

## ٤ - الإفراج عن المعتقلين السياسيين :

طالب الجانب الجزائري أن يصرح عن جميع المصعير السياسيين في سجون فرنسا والجزائر في الوقت الحالي. وطلب الجانب الفرنسي أن يقتصر الإفراج على المعتقلين السياسيين باستثناء الخطرين منهم ، ورد الجزائريون بأن من تعتبرهم فرنسا من الخطرين هم من الوطنيين الذين كافحوا لاستقلال الجزائر . وليس هناك معنى للاحتفال بوقف القتال في وقت يكون فيه بعض الوطنيين الذين جاهدوا في سبيل وطنهم معتقلين لمجرد أنهم نادوا بالاستقلال

ولكن فجأة عاد التفاؤل بقرب الاتفاق على وقف إطلاق النار وجاءت الأنباء تعلن عن انقشاع السحابة التي خيمت على جو المباحثات في أيفيان فقد ذكرت وكالة الصحافة الجزائرية يوم ١٥ من مارس أن المفاوضات الجارية في أيفيان للاتفاق على وقف إطلاق النار في الجزائر وتحرز تقدما مهما .

وقالت المصادر المتصلة بالوفدين المفاوضين أن معظم المسائل الهامة قد سويت ولكن الجانبين يهتمان باتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع وقوع أي خلاف بعد وقف إطلاق النار .

ومن المعروف أن موضوعات البحث في المرحلة النهائية للمحادثات كانت تتركز في التنظيمات الخاصة بفترة الانتقال وقد تمت تسوية معظم عناصرها كما يلي :

١ - تبقى القوات الجزائرية في مواقعها التي كانت عليها عند إعلان وقف إطلاق النار .

٢ - العفو عن المعتقلين السياسيين قبل عملية تقرير المصير وتم الاتفاق على تأليف لجنة من ثلاثة فيها جزائري لبحث الحالات الخاصة .

٣ - اتفق على أسماء السلطة التنفيذية واختصاصاتها وخطوطها الكبرى .

٤ - اتفق على تحديد مراحل الجلاء للقوات الفرنسية بعد الاستفتاء

٥ - اتفق أخيرا على كيفية توقيع وإعلان وتطبيق قرار وقف إطلاق النار

ومن المعروف أن إعلان وقف إطلاق النار ليس سوى خطوة أولى في شأن إيقاف الحرب الجزائرية وإعلان استقلال الجزائر ، تتبعها عدة خطوات نحو إقرار السلام نهائيا في الجزائر أي انتصار كفاح الشعب الجزائري من أجل تحقيق استقلاله .

فانتهاء الحرب الجزائرية وإعلان استقلال الجزائر سيجري على المراحل الآتية :

١ - إعلان وقف إطلاق النار وصدر الأمر إلى القواد العسكريين بوضع حد للقتال والأعمال الإرهابية .

٢ - تطلق فرنسا سراح الزعيم الجزائري والمجاهد الشورى الكبير أحمد بن بيل وأربعة من زملائه الذين اعتقلتهم فرنسا منذ خمس سنوات حين هبط بهم في أرض الجزائر الطيار الفرنسي الذي كان قد نقلهم في طائرة مغربية .

٣ - يتم تبادل الأسرى ويبلغ عددهم نحو ٤٠٠ جندي فرنسي مقابل ٥٠٠ مجاهد جزائري .

٤ - يتم تعيين الإدارة التنفيذية لحكومة الجزائر المؤقتة باتفاق الحكومة الفرنسية والشوار الجزائريين .

أما هدف الحكومة التنفيذية المؤقتة فينصب على ما يأتي :

١ - توطيد النظام وتطبيق القانون بمعونة جيش من

الملتقى الجزائريين يعاونه جندرمة فرنسية .

ب - لمسيق وتنظيم الاستفتاء العام الذي سيجريه رئيسه  
السؤال آتى الجزائريين والأوربيين على السواء وهو :

هل نوافق على استقلال الجزائر والتعاون مع فرنسا ؟  
وسيكون الجواب بلا أو نعم .

وسيكون الجواب نعم بأغلبية ساحقة بطبيعة الحال ولا سيما  
إذا امتنع الأوربيون عن الإدلاء في ذلك بأصواتهم . وعند ذلك تشرع  
الحكومة الفرنسية في تسليم مقاليد الحكم الى الثوار الجزائريين  
ويترتب على ذلك عودة النفيين الجزائريين والخمسة والثلاثين  
ألف مجاهد المقيمين في تونس والمغرب الى أوطانهم .

ويعقب الاستفتاء فترة انتقال ستستمر ثلاث سنوات يتم  
فيها انسحاب الجيش الفرنسي المثل وعند انتهاء السنوات  
الثلاث المشار إليها سيجري استفتاء آخر للأوربيين عما إذا  
كانوا يفضلون الاحتفاظ بجنسيتهم الفرنسية او الجزائرية

## اتفاق وقف إطلاق النار

وأخيراً انتهت حرب الإبطال في الجزائر وتحقق النصر ،  
توقفت المعارك الباطلة التي استمرت ٧ سنوات وذهب ضحيتها  
مليون جزائري ووقعت فرنسا والجزائر مساء الأحد ١٨ من  
مارس عام ١٩٦٢ اتفاقية وقف إطلاق النار .

قطعت محطات الإذاعة في فرنسا والجزائر برامجها مساء  
١٨ من مارس لتذيع نبأ الاتفاق الذي بدأ تنفيذه من الساعة  
الواحدة بعد ظهر الاثنين ١٩ من مارس

« ان افكارنا تتجه في هذه السبعة التاريخية الى اولئك  
الذين ظلوا منذ اول نوفمبر عام ١٩٥٤ يصحون بأرواحهم في سبيل  
حياة الجزائر الحرة المستقلة .

اولئك الذين يستحقون عرفان شعبنا الباسل بفضلهم .  
كذلك تتجه افكارنا الى جنودنا البسلاء بفضلهم . في الميدان  
والى جميع المجاهدين في سبيل القضية الوطنية .

هذه هي الكلمات التي اطلقها كريم بلقاسم في مؤتمره  
الصحفي في فندق الأفق الأزرق عقب انتهاء الجلسة الاخيرة  
للمفاوضات والتي تم فيه توقيع الاتفاق على وقف إطلاق النار .

وفي الوقت الذي كان فيه كريم بلقاسم يقول ذلك ، كان  
يوسف بن خدة رئيس حكومة الجزائر الوطنية يذيع بياناً آخر  
من تونس المقر المؤقت لحكومة الجزائر .

وقد وجه بن خدة بيانه الى الشعب الجزائري قائلاً :

« انه بعد عدة شهور من المفاوضات الصعبة الشاقة تحقق  
اتفاق عام في اجتماعات ايفيان بين الوفدين الجزائري والفرنسي .  
وهذا نصر عظيم للشعب الجزائري الذي أصبح حقه في الاستقلال  
مضموناً » .

والاتفاقات التي تم توقيعها تشمل الاستفتاء والضمانات الخاصة باستوطين والتعاون في المستقبل بين الحكومتين الفرنسية والجزائرية في الميادين الاقتصادية والثقافية والفنية وفي استغلال موزاد الصحراء وعلى استخدام بعض القواعد العسكرية لفترات مؤقتة ، وفيما يلي ملخص لاهم نصوص ذلك الاتفاق الذي تضمنته ٩٢ صفحة كبيرة من حجم الفولسكاب :

### اهم نصوص الاتفاق

- ان وقف اطلاق النار يضع حدا للعمليات العسكرية والقتال المسلح في شتى انحاء الجزائر ابتداء من ظهر يوم ١٩ من مارس عام ١٩٦٢ .

- تأليف مجلس تنفيذي مؤقت يتألف من ٩ جزائريين و ٣ فرنسيين وستكون مهمة المجلس التنفيذي الرئيسية ضمان سير الأمور العامة في الجزائر اذ انه سيوجه سير الادارة هناك وستكون من مسؤولياته العمل على ان يشغل الجزائريون مناصب في مختلف فروع الجهاز الاداري ويقوم المجلس أيضا بالاعداد لاستفتاء تقرير المصير ، خلال فترة انتقال لا تقل عن ٦ شهور تنتهي بالاستفتاء

- تعيين مندوب سام فرنسي بدل الحاكم الفرنسي العام ، وله سلطة على الجيش الفرنسي ، ويتولى الشؤون الخارجية .

- تأليف قوة الامن المحلية من ٧٠ الف رجل بقيادة جزائري مسلم يساعدته جنرال فرنسي ، من قواد بوايس مكافحة الاضطرابات ، وستكون هذه القوة تحت امرة المجلس التنفيذي المؤقت . وهناك استفتاء واحد وهو ان الجيش الفرنسي سيتولى بالتعاون مع قوات الامن الفرنسية الاخرى مهمة ضبط الامن في مدينتي الجزائر ووهران .

- المجلس التنفيذي مسئول عن جميع المرافق العامة الادارية والاقتصادية عدا مرافق القضاء والتعليم .

- وضع خرائط لتحديد المناطق التي سترابط فيها قوات الجيش الجزائري وينتقل بين ربوعها جنود هذه القوات بحرية . ويكون لهم الحق في تجاوزها للحصول على المواد الغذائية .

- يقرر المجلس التنفيذي الوقت بتحديد موعد الاستفتاء حول تقرير المصير في الجزائر الذي لن يكون قبل ٦ أشهر من تنفيذ اطلاق النار على أن تقره الحكومة الفرنسية بواسطة مرسوم تستصدره .

- جيش الجزائر المستقل لن يكون له أى ارتباط بفرنسا ، ولن يكون به أى فرنسى وستكون قواته جيش التحرير الوطنى .

- فى الداخل ستكون جميع قوات البوليس والقوات المسؤولة عن حفظ النظام جزائرية خالصة .

- الدبلوماسية الجزائرية لن تكون مقيدة بأى قيد بالدبلوماسية الفرنسية بمعنى أن الدولة الجزائرية ستكون لها سيادتها الخارجية الخاصة بها .

- نصت الاتفاقيات الجزائرية الفرنسية على أن وقف إطلاق النار سينفذ فى جميع ولايات الجزائر . كما أن الهيئة التنفيذية المؤقتة ستمارس سلطاتها على جميع الجزائر . وسيجرى استفتاء حق تقرير المصير فى جميع الولايات فى يوم واحد ( أقسام الجزائر ١٥ ويشمل ذلك قسماً الصحراء ) وهذا يؤكد وحدة التراب الجزائرى .

- تنص الاتفاقية على جلاء القوات الفرنسية فى مواعيد دقيقة عن الجزائر أعد بها جدول خاص بمراحل الجلاء . فهى تنص على جلاء ٩٠ ٪ من الجيش الفرنسى عن الجزائر فى العام الأول بعد الاستفتاء . وعلى جلاء الفرنسيين من منشآت التجارب الذرية خلال خمس سنوات على أن فرنسا لن تستطيع إجراء أية تجارب ذرية فى هذه المنشآت دون إذن من حكومة الجزائر .

- تستطيع الحكومة الجزائرية أن تعبد النظر فى بنود هذا الاتفاق إذا استخدمت المنشآت العسكرية فى تفذية اضطرابات داخلية فى الجزائر أو فى تخريب الاقتصاد الجزائرى أو إذا كانت تعرض حياة السكان للخطر .

- تنص الاتفاقية بوضوح على أنه لا يجوز استخدام القنعة

والمساحات تقعدة للمدوان ضد أي بلد إفريقي أو أي بلد آخر سابق لجزائر . ومن الواضح أن الاتفاق لا يتعلق بهذه المساحات لا بجعل الجزائر مرتبطة بحلف الاطمان مثلًا . كما أنه لا يتعد حريتها في المجال الدولي وتمسكها بمبدأ الحياد الإيجابي .

— تحتفظ فرنسا بقاعدة المرسى الكبير عن طريق استئجارها لمدة ١٥ سنة من الحكومة الجزائرية ولكنها ستكون خاضعة للسيادة الجزائرية ولكنها خاضعة للسيادة الجزائرية لا للسيادة الفرنسية .

— اعتراف فرنسا بالسيادة الجزائرية جميع السلطات الإدارية والاقتصادية التي تمارسها المؤسسة العامة للمناطق الصحراوية في مناطق الصحراء الجزائرية بعد أن تحل هذه الهيئة .

— ستنشأ هيئة تعدينية نصف أعضائها من الجزائريين والنصف الآخر من الفرنسيين تشرف على المسائل الفنية الخاصة باستغلال البترول على أن تحصل الجزائر على ٥٠ ٪ من عائدات البترول والنصف الآخر لفرنسا .

— سوف تمنح فرنسا معونة للجزائر لمدة ثلاث سنوات ولكن الجزائر ستحتفظ بحقها في اتفاق هذه المعونة في المشروعات التي تخططها على حسب مصلحة البلاد وأكد الجانب الجزائري للجانب الفرنسي أن الجزائر لن تلتزم ببرامج مشروع قسنطينة للأصلاح الذي وضعه ديحول والذي كان يهدف لخدمة المستوطنين الأوروبيين وحدهم .

— ستظل الاتفاقيات بين حكومة الجزائر المؤقتة وفرنسا بشأن التعاون في المستقبل بين الجزائر وفرنسا سارية المفعول لمدة ٣ سنوات وستظل الجزائر في منطقة الفرنك بعد ادخال تعديل عليها، وللجزائر الحرية التامة في اختيار النظام الاقتصادي .

— الاتفاقات المالية بين الجزائر وفرنسا لن تمنع الجزائر من إبرام أية اتفاقيات مالية واقتصادية مع أية دولة أخرى من الدول التي تبدي رغبتها في التعاون الاقتصادي مع الجزائر ، ويلاحظ

تدلّك أن انتماء الجزائر لمعقّة الثورت الفرنسيّ لن يمنعها من أن تصدر عملتها الخاصة والنساء بنك وطني وفرض الصواجز الجمركية لضمان تطويرها الاقتصادي وتعميقها الوطني .

١ - فيما يتعلق بوضع الجنسية الأوروبية داخل الجزائر تنص الاتفاقية الجزائرية الفرنسية على ما يلي :

١ - حرية اختيار المستوطنين بصفة فردية للجنسية الجزائرية .

٢ - الذين يختارون الإحتفاء بالجنسية الفرنسية يعتبرون أجانب ويخضعون إلى هذا القانون .

٣ - ستعطى فردية ثلاث سنوات ملاحقة بعد هذه المدة سيتمتع المستوطنون الذين لم يقرروا اختيارية من الجنسية بالجنسية الفرنسية مع التمتع بالحقوق المدنية الجزائرية مثل حق الانتخابات ، ولكن هذا سيتمتعهم من التمتع بالحقوق المدنية الفرنسية .

٤ - بعد ثلاث سنوات يصبح فرنسيّا كلّ من لم يقرر اختيار الجنسية الجزائرية .

ويلاحظ أن الاتفاقات الجزائرية بشأن وضع الأقلية الأوروبية نجحت تقسيم الجزائر أو منح الأقلية الأوروبية امتيازات تجعل منهم دولة داخل دولة كما تضمنت منح الأقلية الأوروبية ضمانات التي ينص عليها ميثاق حقوق الإنسان .

وهكذا استطاعت الثورة الجزائرية البطلة أن تحقق النصر الكامل في مرحلة الاستقلال الوطني بمنطقة الثورة تراجعت فرنسا مهزومة مصفرة للجزائريين بالنصر .

## ماذا يعنى اتفاق وقف إطلاق النار؟

لقد كانت الجزائر قبل الغزو الفرنسى دولة لها مقومات السيادة والاستقلال ولكنها فقدت استقلالها نتيجة لعملية غزو مسلح وسيطرة عسكرية من جانب الجيش الفرنسى عام ١٨٣٠ .

وهذه حقيقة ثابتة تقف صامدة فى مواجهة كل برهات فرنسا وادعاءاتها بأن الجزائر جزء من فرنسا وألا سيادة ولا استقلال للجزائر .

وبعد فقد كانت الثورة الجزائرية المسلحة التى انطلقت من عقابها فى أول نوفمبر عام ١٩٥٤ تأكيداً لهذه الحقائق وتجسيماً لها .

فالدولة الجزائرية المستقلة والتى فقدت استقلالها عام ١٨٣٠ نتيجة للقهر العسكرى قد استعادت مقومات هذا الاستقلال بالثورة العسكرية المسلحة التى أعلنها الشعب الجزائرى على ممثليه لاستعادة حريته المقتضية .

الثورة الجزائرية اذن قد أبرزت العناصر الأساسية للدولة وهى الأفراد والأقليم والسلطة الحاكمة .  
**الشعب الجزائرى**

أول عناصر الدولة العنصر الإنسانى وهو الشعب وكانت الثورة الجزائرية ومنذ اليوم الأول لقيامها تلقى التأييد الكامل والولاء التام من جميع فئات وطبقات الشعب الجزائرى ، بل إن أهم سمات الثورة الجزائرية المميّزة هى أنها كانت ثورة شعبية بكل معنى الكلمة ، ثورة تخوضها جماهير الشعب الواسعة فى إيمان راسخ ووعى عميق .

ويكون الشعب الجزائرى أمة واحدة يسودها الانسجام

معنوى المبني على الشبه والاتحاد الجنسي واللغة والدين والتقاليد  
والأمانى والقومية العربية .

### الاقليم

يقطن الشعب اقليما محدودا بسور رقعة من الارض ورقعة  
من الماء وفضاء جريا يعلو الارض واناء وان كانت دولة الجزائر  
قد فقدت السيطرة على اقليمها مؤقثا وفشروا خراجة عن  
ارادتها نتيجة لاحتلال اقليمها بواسطة الاستعمار الفرنسى الا  
انها قد استمادت شخصيتها المستقلة بكل جزئى باشتغال  
الثورة وقيام التنظيم السياسى الذى استقطب كل انواع النشاط  
الثورى من سياسى وعسكرى واقتصادى .

وقد تمثل ذلك التنظيم السياسى فى مجلس الثورة  
الجزائرى وسائر المنظمات الثورية الاخرى من خلايا ومكاتب  
وفروع داخل كل الانحاء الجزائرية المحررة والتي تم تنظيمها من  
توات الاستعمار الفرنسى الغاصبة .

### النظام السياسى

بقيام الثورة الجزائرية فى اول نوفمبر ١٩٥٤ استكملت  
الدولة الجزائرية التى كانت تعيش تحت وطأة القهر الاستعمارى  
منذ عام ١٨٣٠ مقومات الدولة المستقلة بقيام تنظيمات سياسية  
ثورية . تناضل القوى الاستعمارية المتسلطة ، وتؤكد وجودها  
وسيطرتها على الاقليم والرعايا والتنظيمات الثورية وانفسوات  
العسكرية ووحدات جيش التحرير الجزائرى الذى حمل عبء انضال  
لطرد الاستعمار ، وقد كن فى قمة هذه التنظيمات السياسية  
مجلس الثورة الجزائرى الذى كت له السلطة العليا فى الاشراف  
على كل انواع النشاط الثورى . وفى ١٩ من سبتمبر عام ١٩٥٨  
تشكلت اول حكومة جزائرية تمثل الشعب الجزائرى الثانى  
وتولى القيام بمسؤوليات اسبسية الخارجية والدخول باسم  
الشعب الجزائرى الثانى وتولى القيام بمسؤوليات السياسة  
الخارجية والدخول باسم الشعب الجزائرى الثانى فى علاقات  
دولة على الصعيد العالمى . وتتولى عبء الدفاع عن القومية

الجزائرية في المحافل الدولية والدعاية لها في داخل وخارج الإمبراطورية المتحدة .

بكانت النتيجة لتوافر هذه العناصر والمقومات الأساسية الثلاث للدولة الجزائرية العربية الصربية أن اعترفت كثير من اذرى بالدور الجزائرية وبقسام حالة الحرب بين الجيش الفرنسي وجيش التحرير الجزائري ، وترتب على هذا الاعتراف بحق المحاربين لثوار الجزائريين وعدم اعتبارهم ومعاملتهم معاملة الخونة أو المجرمين .

بل وأكثر من ذلك كان من نتيجة توافر عناصر ومقومات الدولة الجزائرية العربية المستقلة ان فرنسا ذاتها لم تستطع الاستمرار في انكارها على الثوار حقهم كمحاربين وفي أنهم ليسوا مجرمين او خارجين على القانون كما كانت تصفهم في بداية الثورة . واضطرت الى الاعتراف بانهم الممثلون الحقيقيون وحدهم للشعب الجزائري والارادة الجزائرية في تحقيق النصر والتحرر من رقة الاستعمار الفرنسي ، فكان ان فاضلتهم وخضعت لارادتهم في تقرير مصيرهم ، وكان لا بد ان تصل فرنسا الى نهاية الطريق فاعترفت بضرورة انتهاء حالة الحرب بينها وبين الجزائر . فكان ان وقعت يوم ١٨/٣/١٩٦٢ اتفاق وقف اطلاق النار . وهذا يعني من وجهة نظر القانون الدولي اعتراف فرنسا بالحرب القائمة بينها وبين الجزائر وهذا لا يحدث وفقا لاحكام القانون الدولي الا اذا اتخذت الثورة شكل الحرب الاهلية واصبح للثوار حكومة منظمة يخضع لها جيش منظم يتبع قواعد الحرب ويأشر سلطاتها على اقليم معين .

واعتراف فرنسا بالحرب ومن ثم اتفاقها على وقف اطلاق النار انتهاء لهذه الحرب ، انما يعنى اعترافها للثوار الجزائريين بحقوق المحاربين التي نص عليها في احكام القانون الدولي .

وموافقة فرنسا على اجراء استفتاء لتقرير المصير ، انصا يعني كذلك اعتراف فرنسا بأن الجزائر ليست جزءا من فرنسا كما كانت تدعى - وفرنسا هنا لا تمنح الشعب الجزائري حق تقرير المصير ، بل هي في موقف من ليس في استطاعته سبر

الخضوع لأمر سبق أن تقرر . فالشعب الجزائري قد قرر  
مسيره بالفعل ومنذ اليوم الأول الذي حمل فيه السلاح، وركب  
مركب الثورة وفرنسا اليوم لا تفعل سوى التسليم بالأمر الواقع  
والخضوع لما سبق أن تقرر .

فأولى مفهومات الثورة الجزائرية البعثه أنها كانت وستظل  
كذلك . ثورة تأخذ ولا تعطى لها .

فالشعب الجزائري والأمة الجزائرية هما اللذان كنوا  
تاريخياً عبر القرون . فقدت لفترة عبرة أسلافنا بغير  
العسكري والاستعمار المسلح وهي اليوم تسعد تلك السيادة  
وهذه الحرية بقوة السلاح . ويفعل الثورة ويحكم الواقع .

## منظمة الجيش السرى الفرنسية

منظمة الجيش السرى الفرنسية منظمة ارهابية تتلخص اغراضها فى انكار الحرية على الشعب الجزائرى والعمل على ابقاء الجزائر مستعمرة فرنسية تحكمها الاحتكارات الرأسمالية والجيش الفرنسى .

وتعتمد هذه المنظمة الى تحقيق هذه الاغراض عن طريق ارتكاب أشنع الفتك وأشنع أساليب الارهاب والتعذيب ضد الشعب الجزائرى المجاهد فى سبيل حريته واستقلاله .

ومنظمة الجيش السرية هذه منظمة يمينية فاشية ضالة، تعمل من أجل مصلحة ذاتية زائفة وتسعى الى تحقيق مجد عسكري حقير ، وهى تقاوم حتمية التاريخ وارادة ملايين الجزائريين فى تحقيق حريتها وانتصار نضالها .

ويتزعم المنظمة الجنرال سالان - القائد العام السابق لجيش الاستعمار الفرنسى - ومن بين افرادها هؤلاء الذين نزعوا الانقلاب العسكرى الذى جاء يديجول الى الحكم .

اعلنت المنظمة عن قيامها فى ابريل ١٩٦١ ولكن بعض اعضائها كانوا يمارسون أعمال الارهاب ضد شعب الجزائر منذ قيام الثورة الجزائرية .

وتدخل بين أعضاء المنظمة عصابة اليد الحمراء الفرنسية التى عرفت بتاريخها الاسود فى حوادث الاغتيال ، وكل أعضاء المنظمة مأجورون يتقاضون الثمن عن كل جريمة قتل أو تخريب يرتكبونها ، فريق منهم من الهاربين من الجيش الفرنسى ، وفريق آخر من رجال العصابات الاسرائيلية التى احترفت القتل والتى تؤدي دورا هاما فى نشاط هذه المنظمة فى الجزائر ولا تريد لتسبب الجزائر أن ينال حريته .

الجرائم التي ارتكبتها وما زالت ترتكبها منظمة الجيش السري الفرنسية أثارت استنزاز واستنكار الضمير العالمي ، وقالت جريدة الفاتيكان ان جرائم هذه المنظمة انحدرت الى ماهو اسوأ من مستوى الوحوش الآكلة لحوم البشر .

ويعتمد الارهابيون على تفجير قنابل البلاستيك واشاعة الرعب في المدن الجزائرية وتساعدوا شبكة من الراسماليين والجواسيس ولها مراكز في تل ابيب وبون ومدريد وزبورخ وباريس .

وارهاب ه من مارس الذي وصفته وكالات الأنباء فقالت ان الارهاب الفاشي الذي تمارسه هذه المنظمة بلغ ذروته في هذه الليلة ولم تشهد الجزائر في تاريخها ليلة ارهاب افظع من هذه الليلة .

فقد عاشها الشعب الجزائري في الشوارع بعد ان تحولت ارضه الى جهنم وفي هذه الليلة انهارت المباني وسقط مئات الجرحى حيث كانت تتفجر القنابل في مختلف احياء مدينة الجزائر في وقت واحد .

ان ارهاب ه من مارس هذا لمثل فاضح على مدى الحق والفضال والوحشية والبربرية التي تلجأ اليها قوات فرنسا المدحورة امام ارادة الجماهير الجزائرية .

ومن المسائل الهامة التي يتعين ذكرها في مجال الحديث عن هذه المنظمة السرية انها قامت بتشجيع في بادئ الامر من الحكومة الفرنسية حتى تفيد من نشاطها في عرقلة احتمالات السلام في الجزائر والضغط على الشعب الجزائري وجيش التحرير ووقد المعارضين ، ومن ثم فالبوليس او الجيش الفرنسي سواء في الجزائر او في فرنسا ذاتها لم يكن يبذل أي جهد في مقاومة أعمال هذه المنظمة الارهابية حتى انه كان يبدو واضحا انها جزء من خطة استعمارية تقرها حكومة ديغول .

وقد قال رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة السيد بن يوسف بن خدة ، في تصريح له لمجلة تايم الامريكية في ١٣ من

مارس ن منظمة الجيش السرى لا تقوم الا على مساعدات تتلقاها من أعضاء عامين في الجيش الفرنسى نفسه . فاذ كان ديجول واثقا من اخلاص الجيش له فانه سيمكن القضاء على نفوذ هذه المنظمة سريريا أما اذا كان ديجول ليست لديه سلطة على هذا الجيش فان الحرب ستستمر وستواصل النضال اذا لم يحترم الجيش الفرنسى وقف اطلاق النار .

وكان من نتيجة هذا التأييد الفعلى من جانب الحكومة الفرنسية والمسؤولين الفرنسيين للمنظمة أن استفحل خطرها وباتت تهدد ديجول نفسه والجمهورية الخامسة ذاتها بالانهيار والسقوط .

وقد كان بالفعل أن وضعت المنظمة برنامجا لتشرع فورا في تنفيذه بعد اعلان وقف اطلاق النار والاعداد لأجراء الاستفتاء . فهناك مثلا « العملية الزرقاء » وهى تعنى الاضراب العام بعد اعلان اتفاق وقف اطلاق النار . لتل المرافق العامة وهناك أيضا عمليتان احدهما تسمى « العملية البيضاء » وهى الهجوم بالقنابل والاخرى « العملية الحمراء » وتعنى اراقة الدماء .

وبعد توقيع وقف اطلاق النار وما أن أعلن هذا الاتفاق حتى نزل على المستوطنين الفرنسيين في الجزائر وانصارهم في داخل فرنسا نزول الصاعقة ولم يخرج الفرنسيون الارهابيون من ذهراهم ، الا رد حكومة الارهابيين التى ألقتها منظمة الجيش السرى باسم « المجلس الوطنى لمقاومة الدكتاتورية » بقصد العمل على ابقاء الجزائر فرنسية .

وصدر أول رد لحكومة الارهابيين وهو اعلان الحرب على الجزائريين الوطنيين وقالت انها ستحاربهم الى أن تقضى عليهم وتبدهم نهائيا .

أما ردها الثانى فهو عزل ديجول وأعضاء حكومته وقالت انها لم تعد تعترف بشارل ديجول رئيسا للجمهورية الفرنسية لأنه تخلى عن أعماله الرئيسية .

وكان الرد الثالث لحكومة الارهابيين هو تكليف الجنرال

راول سالان قائد المنظمة السرية الفرنسية « بإعادة السيطرة  
تسبب الفرنسي بكل وسيلة طبقا لدستور ١٩٥٨ » .

ودعا سالان في اذاعة سرية قوات الجيش الفرنسي الى  
الانضمام للمنظمة . وقال ان على الجيش الفرنسي ان ينهض  
للقضاء على الاتفاق الذي وصفه بأنه جريمة .

وقال سالان اني اصدر الاوامر الى قواتنا بأن تهاجم مواقع  
الإدارة في المدن الجزائرية الكبرى .

وقد أصدرت حكومة الارهابيين رده على ديجول بينما كان  
ديجول يذيع من باريس اتفاق وقف اطلاق النار وقتلت وكالات  
الانباء ان من العجيب انه لم يشر ولو أشارة غير ان منظمة  
الجيش السري الارهابية .

وعلم المستوطنون الفرنسيون الاتفاق من مجلة التيلفزيون  
في الجزائر التي فضحت برامجها العادية مساء ١٨ من مارس لتعلن  
انها انتهت مؤتمرا ايفيان بتوقيع اتفاق وقف اطلاق النار .

وعنى الفور ضربت الصحف التي تصدر في مدينة الجزائر  
وكلها فرنسية وقالت وكالة زوينر ان هذا اعتبر دليلا على ان  
« الاوامر » التي أصدرتها الحكومة الارهابية الفرنسية بالاضراب  
مدة ٤٨ ساعة على اثر اعلان الاتفاق قد وجدت صدى لدى  
المستوطنين الفرنسيين .

ومنظمة الجيش السري تأمل من وراء هذه الخطة الارهابية  
استفزاز عرب الجزائر الى درجة تدفعهم الى اعمال انتقامية ضد  
الاوربيين كرد فعل للارهاب الوحشي الذي تمارسه هذه المنظمة  
وفي مثل هذه الحالة فقط نستطيع منظمة الجيش السرية ان  
يفيد من الوضع وتحاول الاستيلاء على الجزائر وبالتحديد منطقة  
وهران والجزائر العاصمة لتفرض بالامر الواقع نوعا من التقسيم  
يشمل الساحل الشمالي الغربي من الجزائر .

والجزائريون متنبهون تماما الى خطورة هذه المنظمة ليس  
باعتبارها مجرد « عائق » قد يقف في وجه تحقيق السلام في

الجزائر فقط . ولكن باعتبارها مصدرا دائما للقلق والتوتر يمكن أن تسبب للجزائر الكثير من المتاعب وتعكر الجو كنه .

ولما كانت الحكومة الجزائرية على هذا القدر من التنبيه لخطورة المنظمة الارهابية فقد أعدت لمواجهة خطة خاصة أطلق عليها « خطة بوصوف » نسبة الى وزير التسليح والمواصلات الجزائري .

وهذه الخطة لم يبحثها ولم يدرجها الجزائريون في اثناء المفاوضات الجارية بينهم وبين فرنسا ولكنهم أعدوها قبل هذه المفاوضات بوصفها مستندا من مستنداتهم فيها .

فقد الحق المفاوضون الجزائريون في ايفيان بأوراقهم وملفاتهم وثيقة من بضع صفحات أحيط امرها بالكتمان الشديد . تضم مشروع خطة بوصوف الذي أتمت اعداده وزارة الاتصالات والامن لحكومة الجزائر ، والذي يشتمل على مجموعة من الاجراءات والتدابير التي يرى الجزائريون أن لا غنى عنها في نضالهم وفي كفاحهم ضد منظمة الجيش السرى الارهابية .

والاجتماعات التي عقدتها حكومة بن خدة قد كرست كلها لبحث هذه المسألة التي سبق أن كانت محل دراسة مستفيضة للمجلس الوطنى للثورة الجزائرية وفي ضوء هذه الخطة الجديدة تصدى الوزراء الجزائريون لستين الموضوعات التي تم تسويتها خلال المفاوضات التي دارت في ايفيان .

وكان الوطنيون الجزائريون يرون ان منظمة الجيش السرى لم تكن شيئا خلاف أنها جزء لا يتجزأ من عدوهم الشامل الذي يتألف من الجيش والبوليس والسلطات الفرنسية في الجزائر ، ولكن كل شيء مالم يثبت أن تغير منذ شهر وعلى وجه التحديد منذ اجتماع « المحمدية » في المغرب اذ أدركت حكومة الجزائر لأول مرة أن اتفاقا بدأ يلوح فى الافق وتبينت كذلك أنها بدأت توغل في فترة انتقالية كان الخطر الحقيقى بها مصدرة غالبا المنظمة السرية ، منذ ذلك أصدر بوصوف الوزير الجزائري المسئول أوامره الصريحة لرجالها بحصر زعماء المنظمة الارهابية ليس فقط في المدن الكبرى وانما أيضا في الاقاليم النائية .

واخذت التقارير ترد الى قيادة جيش التحرير الوطنى وفى ضوء هذه التقارير تسنى لحكومة الجزائر ان تطبق خطتها السياسية على حقيقة الموقف . وامكها وضع خطة بوصف التى طرحت على الوفد الفرنسى فى مفاوضات ايفيان وذلك للمطالبة بوضع سلطات قوية حقيقية تحت تصرف الحكومة المؤقتة الجديدة بمجرد وقف اطلاق النار لتمكين من السيطرة على الموقف . والقضاء على أهداف المنظمة السرية فى تحقيق ما يسمى بالانقلاب الطوى ، والمقصود به العمل الهدامة باشاعة البلبلة والشك والاضطراب .

ويلاحظ على هذه المنظمة السرية كم صرح أحد المسؤولين الاوربيين قائلا :

« ان المستوطنين الاوربيين وأعضاء المنظمة السرية كثيرا ما تعوزهم الشجاعة والجرأة عندما تحين لحظة خوض المخاطر . فهم لا يريدون اقدام الا على عمل مضمون النتائج ومن ثم فعالية رجال المنظمة الارهابية لن يقلعوا عن جرائمهم الا متى تكبد لديهم انهم انما يعرضون أنفسهم للموت فى اثناء عملياتهم الاعتيادية .

ومن ثم فالقوة العسكرية القوية التى تسيطر عليها اللجنة التنفيذية التى تمارس السلطة فى اثناء فترة الانتقال سوف تتمكن حتما من القضاء قضاء ناجزا على ازعاج هذه المنظمة الفاشية .

ولكن الحقيقة الواضحة هى ان الشعب الجزائرى وجيش ثورته التحريرى يعيان حقيقة ما يرمى اليه الحملة الارهابية وهما يواجهان الموقف برسطة جيش وممود لاديين .

### ماذا بعد الاستقلال ؟

ان اهم ما يميز الثورة الجزائرية وتجعلها من اعمق واخصب التجارب الثورية فى العالم هو شعبيته وسموها . وقد ساعد على ذلك ظروف موضوعية هيأتها طبيعة الاستعمار الفرنسى ذاته فى القطر الجزائرى .

فالاستعمار الفرنسى جعل من الجزائر اقليما تابعا لفرنسا ،  
وعمل منذ اليوم الاول على افناء الشعب الجزائرى . وتجريده  
من كل ما يملك ومحو شخصيته الوطنية وطابعه القومى . وعلى  
هذا فالاستعمار الفرنسى لم يخلق فى الجزائر طبقة خاصة ولم  
يحافظ على الطبقة الاقطاعية أو شبه الاقطاعية ولم يحاول أن  
يخلق بورجوازية وطنية تحل محلها .

وكان من نتيجة هذه السياسة الفرنسية فى الاستعمار المباشر  
أن انتفت من الجزائر العناصر المعدة فكريا وسياسيا للمساومة على  
مطالب الشعب وكذلك انتفت القوى الاقتصادية الجزائرية المرتبطة  
مصلحيا وماديا بوجود الاستعمار .

ومن أجل هذا كان للثورة الجزائرية منذ يومها الاول  
محتوى اقتصادى واجتماعى مجدد ازداد تعمقا وشمولا خلال  
الكفاح الثورى الذى لم يتخلف أى فرد من جماهير الشعب عن  
المشاركة فيه .

فمن محتوى الثورة الجزائرية واسسها ومن تشكيلها  
الشعبى السليم تظهر الخاصية المميزة للثورة الجزائرية وهى  
استمرار الثورة ، فثورة الجزائر الحقيقية سبداً يوم وفى  
اطلاق النار وسوف تأخذ شكلها الصحيح حين يعلن استقلال  
الجزائر .

هذه هى حقيقة الثورة الجزائرية وهذه هى وجوه الاختلاف  
بينها وبين الحركات الاستقلالية التى شهدناها فى البلدان المجاورة  
لجزائر .

فما أن تنتهى المعركة العسكرية باعلان الاستقلال وقبونه  
دوليا ، حتى يواجه زعماء الثورة معركة قد تكون أعنف وأعمق  
من المعركة السابقة — هذه المعركة الجديدة هى معركة تخطيط  
وبناء المجتمع الجزائرى المستقل فى ميادينه الاقتصادية والثقافية  
والتربوية والاجتماعية .

انها معركة بناء الجزائر وبناء اشتراكية الجزائر ، وقد  
أدى طول الكفاح الشعبى وما اتصف به من حدة وضراوة وشمول

واتساع الى تغير نظرة الشعب تغيرا جذريا في كل ميدان  
الحياة ، فقد انصهر الشعب في نار الثورة وولد ولادة جديدة  
وقطع في سبع سنوات من الكفاح الثوري مراحل لا يمكن قطعها  
في عشرات السنين .

وبناء على ذلك اصبح الشعب الجزائري يتطلع الى التحرر  
الانساني الكلي الشامل وينزع الى الغايات البعيدة التي تكور في  
مستوى نضاله وآلامه وتضحياته .

وهكذا فان الوحدة السياسية والاجتماعية للشعب الجزائري  
ويقظة الجماهير الشعبية ووعيها الثوري انتظم تعتبر أكبر ضمان  
لتحقيق مبادئ الثورة في بناء ديمقراطية سياسية واجتماعية  
واقامة اقتصاد وطني لصالح جماهير الشعب وتحت اشرافها  
وادارتها المباشرة . وفي السير نحو تحقيق الوحدة العربية على  
أسس شعبية صحيحة .

وعلى هذا فان آخر الاقطار العربية عهدا بالتحرر ، تفرض  
عليه الظروف وتشاء له الاقدار أن تتضمن تجربته كل محتوى  
الثورة العربية السياسي والاقتصادي والاجتماعي وان يؤدي في  
هذا السبيل مهمة كبيرة وان يكون مثالا ثوريا فذا ، وصورة  
حية رائعة للمجتمع الجديد ليس امام الشعب العربي فقط بل  
امام شعوب افريقية وكل شعوب العالم . وهذا ما يجعل من  
ثورة الشعب الجزائري البطل . تجربة تاريخية اكبر وعملا  
انسانيا خالدا .

## استفتاء تقرير المصير و إعلان الاستقلال

حددت الهيئة التنفيذية المؤقتة في الجزائر يوم أول يوليو سنة ١٩٦٢ لاجراء استفتاء تقرير المصير في جميع أنحاء الجزائر للشعب الجزائري وقبل ذلك التاريخ بعدة أيام نظمت جبهة التحرير الجزائرية عديدا من الاجتماعات السياسية في جميع أنحاء الجزائر للدعوة للاشتراك في استفتاء تقرير المصير - والاجابة بكلمة « نعم » على سؤال الاستفتاء . وفي هذه الندوات والاجتماعات السياسية تحدث رجال جبهة التحرير عن مستقبل الوطن الجزائري - وأشادوا بضبط النفس الذي أبداه المواطنون ازاء استفزازات الارهابيين . ورفعت في هذه الاجتماعات لافتات كتبت عليها شعارات وطنية منها « الثورة بالنسبة لنا تعني الارض للفلاحين - والعمل للعمل - والمدارس للأطفال - والرعاية للشيوخ والمرضى » وكانت قد تمت الاستعدادات لان يذهب ملايين الجزائريين الى مراكز الاستفتاء في جميع أنحاء بلادهم ليكتبوا بكلمة « نعم » مرحلة جديدة في حياتهم - هي مرحلة الاستقلال - ومولد الدولة الجديدة الحرة . أما الجزائريون المقيمون في الخارج - سواء منهم من كانوا في فرنسا او المغرب او تونس او غيرها فقد تقرر ان يشترك هؤلاء في الاستفتاء الادلاء بأصواتهم عن طريق المراسلة - وقد تم ذلك بالفعل في الفترة من ٢٥ - ٢٧ يونية ١٩٦٢ ونقلت أوراقهم الى الجزائر وبلغ عدد هؤلاء ٢٣١٦٤٠ جزائريا .

وفي صبيحة يوم الاستفتاء كانت الملايين الجزائرية من الجنسين تقف في صفوف طويلة امام ما يقرب من ٦٥٠٠ مركز من مراكز الاستفتاء في جميع أنحاء الجزائر - ليدلوا بأصواتهم مسجلين رأيهم في مستقبل وطنهم - وقد بدأ الاقتراع في الساعة الثامنة صباحا واستمر عشر ساعات - وقد تسلم كل مشترك في الاستفتاء بطاقتين احدهما بيضاء وتعني الموافقة بكلمة نعم - والاخرى برتقالية اللون وتعني عدم الموافقة - وعلى كل بطاقة

سؤال الاستفتاء وهو « هل تريد أن تصبح الجزائر دولة مستقلة تتعاون مع فرنسا وبالشروط التي حددتها اتفاقات إيفيان لوقف إطلاق النار » وكتب السؤال باللغتين العربية والفرنسية - حتى يفهمه الوطنيون والمستوطنون على السواء - وقد حددت جبهة التحرير الوطني الجزائرية اعدادا كبيرا من سيارات النقل لحمل الناخبين الجزائريين الى مراكز الاقتراع - وقد غطت جدران المباني في المدن والقرى لافتات تدعو الجميع للتوجه الى مراكز الاقتراع في جميع أنحاء الجزائر . وقد ذهب عدد غير قليل من المستوطنين الاوروبيين للدلاء بأصواتهم - وكان جان جاك سوسيني الزعيم المدني لمنظمة الجيش السري الاحياء - قد دعا بعد ان انهارت المنظمة - جمع الاوروبيين الى الاشتراك في الاستفتاء والاجابة بنعم على السؤال .

وهكذا كانت الجزائر حديث الدنيا كلها يوم اول يوليو سنة ١٩٦٢ - فقد قامت دولة جديدة في القارة الافريقية . دولة اختار شعبها الحرية والاستقلال عن فرنسا - بعد احتلال دام ١٣٢ سنة - فقد أعلن الملايين من أبناء الشعب الجزائري رأيهم في استفتاء تقرير المصير الذي كان مسألة شكلية محضه أصرت فرنسا على اجرائه - لتوفر ماء وجهها - وهي تخسرج من الجزائر - لان نتيجة الاستفتاء كانت معروفة مقدما - واعترف بذلك ديجول نفسه - ولم يكن شعب الجزائر ليختار بدلا عن الاستقلال - وهو الذي عانى طويلا من الاستعمار - وكافحه سنوات وحارب معركة من أروع معارك التاريخ .

وقد أعلن عبد الرحمن فارس رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة نتائج الاستفتاء يوم الثلاثاء ٣ - ٧ - ١٩٦٢ وكانت كما يلي :

٨٢٥٥٩٧٥ره شخصا قالوا نعم - بينما بلغ عدد المعارضين ١٦٥٣٤ ٩٩٧٢٪ وقد ابطلت هذه النتيجة رسميا الى فرنسا فور اعلانها - وعلى أثر ذلك أعلن الجنرال ديجول رئيس جمهورية فرنسا صبيحة يوم الثلاثاء ٣/٧/١٩٦٢ ان الجزائر قد استقلت

رسمياً - وأن فرنسا تعترف بهذا الاستقلال . وبعث ديجول برسالة إلى عبد الرحمن فارس سلمها له كريستيان فوشيه المندوب السامي الفرنسي - قال فيها - أن فرنسا قد سجلت نتائج استفتاء تقرير المصير - وهي تعترف باستقلال الجزائر وتسلم زمام السلطة فيها إلى الهيئة التنفيذية المؤقتة .

وفي الساعة العاشرة والدقيقة الثامنة والثلاثين من صباح الثلاثاء ١٩٦٢/٧/٣ انزلت الإعلام الفرنسية في الجزائر - ورفعت مكانها اعلام الجمهورية الجزائرية - وقد تم ذلك على أثر تسليم فوشيه السلطة إلى عبد الرحمن فارس في حفل رسمي أقيم في بو مرداس ألقى فيه عبد الرحمن فارس كلمة قصيرة دعا فيها إلى الاتحاد - وقال أن الحكومة الجزائرية المؤقتة هي صاحبة السلطة العليا في الثورة - وأنه قد حان الوقت للعمل ولحمل المسؤولية - وفي الساعة الرابعة من مساء الثلاثاء ٣ - ٧ - ١٩٦٢ هبطت مطار بو مرداس في الجزائر - طائرة تونسية نزل منها بن يوسف بن خدة رئيس حكومة الجزائر المؤقتة وعشرة من الوزراء - أعضاء الحكومة - وفي المطار ألقى بن خدة كلمة قال فيها - أن اتفاقات إيفيان تعتبر نصراً باهراً للشعب الجزائري - لأنها كفلت الاستقلال ووحدة البلاد الإقليمية - ولذلك فإننا سننفذها باخلاص - وقال أنه على الرغم من الدماء التي أريقَت بغازة فإننا نستطيع أن نقول مرة أخرى أن الأوروبيين والجزائريين يستطيعون أن يعيشوا معاً على أرض الجزائر السخية - ثم قال بن خدة أن الاستقلال ليس غاية في ذاته وإنما وسيلة إلى الأهداف الاقتصادية والاجتماعية التي بغيرها لا نستطيع أن نتحدث عن الثورة .

## الجزائر المتصهرة

وهكذا قد تحددت الطريق أمامنا نحن العرب . انها طريق الثورة . انها العقيدة والإيمان . انها الحرب لمقدسة . فقد كانت النورة هي طريقنا الى الفقر بحقوقنا وإلى اسسدة جزائرتنا . وستظل هي طريقنا الى انشاء الدولة الجزائرية الديمقراطية وإلى اقامة الحياة الاجتماعية العادلة .

لقد كانت وستظل هي طريقنا الوحيد الى الخلاص .

يقول المؤلف الفرنسي جورج بيرنافوس . مشيراً الى نضال الجزائريين في مقاومة الفرنسيين :

" حقيقة ان الاحداث هي التي تقود الرجال . ولكن الرجال يستطيعون ان يقودوا الاحداث عندما يسعرون بأنهم غير استعداد لأن يضحوا بحياتهم في سبيل ان تحيا مثلهم العيب . . .

لقد كتب الشعب الجزائري أروع صفحة في كل تاريخ الحربة الدامي فما اعطى شعب من شعوب العالم معركة الحرية . قدر ما اعطاها شعب الجزائر من بضحيات زكية . ومن بطولات عبقرية . ومن ثبات وتصميم على هدف واحد ولذلك فقد كان النصر حليفه ، لأن شعار ١٠ ملايين جزائري هو ان نموت شهداء بدل ان نكون عبيدا .

ان الجزائر وقد تحداها التاريخ . لم يكن انتصارها من باب الممكن بل كان عند الجزائريين يقين وعمل يتجدد بتجدد طلوع الشمس .

وفي كلمات وجيزة وبعد ان حان الوقت لاضع القلم . لابد ان اذكر انه - وان كانت الجزائر قد نالت استقلالها . فما ذلك الا لان مئات الآلاف من الوطنيين الجزائريين قد ارتضوا التضحية بأرواحهم في سبيل الحرية .

## الفهرس

|     |                                             |
|-----|---------------------------------------------|
| ٣   | الأهداء                                     |
| ٥   | تمهيد                                       |
| ٧   | الاستعمار والعقلية الاستعمارية              |
| ١٠  | الجزائر في الزمان                           |
| ١٩  | الظروف الدولية التي تم فيها الاحتلال        |
| ٢١  | الثورة الجزائرية                            |
| ٢٦  | المرتكزات الفكرية الفرنسية                  |
| ٤٦  | الحركة الوطنية الجزائرية في مرحلتها المسلحة |
| ٥٧  | الثورة تباشر الحكم                          |
| ٥٩  | دبجول والجمهورية الخامسة                    |
| ٦٨  | الجمهورية الجزائرية                         |
| ٧٠  | قضية الجزائر في الأمم المتحدة               |
| ٧٦  | لقطة المفاوضات الجزائرية الفرنسية           |
| ٨٤  | الاستعمار يشهد نهايته                       |
| ٩١  | مفاوضات إيفيان الثانية                      |
| ٩٠  | اتفاق وقف إطلاق النار                       |
| ١٠٤ | ماذا يعنى وقف إطلاق النار                   |
| ١٠٨ | منظمة الجيش السرى الفرنسية                  |
| ١١٦ | استفتاء تقرير المصير وعلان الاستقلال        |
| ١١٩ | الجزائر المنتصرة                            |

# خطأ وصواب

| الصفحة | السطر | الخطأ     | الصواب     |
|--------|-------|-----------|------------|
| ٥      | ٢٠    | التاريخية | التاريخية  |
| ١٣     | ١٩    | ٣٥٩٥      | ١٥٩٥       |
| ١٦     | ٣٠    | نضع       | نخضع       |
| ٣٤     | ٢     | وموزعة    | وتوزع      |
| ٤٥     | ٢١    | وجه       | وجهة       |
| ٤٧     | ١٨    | أنى       | بأنى       |
| ٥٢     | ١١    | الأادكلى  | الراديكالى |
| ٥٥     | ٣     | ظروف      | ظرف        |
| ٥٥     | ٢٥    | المحتل    | الممثل     |
| ٦٠     | ٣     | ووداضعا   | وواضعا     |
| ٦٠     | ٢٨    | وأمام     | وأعمال     |
| ٨٦     | ٧     | ذبانیه    | زبانیه     |
| ٩٣     | ٢٠    | مكون      | مكونا      |